تجربة إسماعيل أدهم الإلحادية

عرض ونقض

إعداد

د / محمد صلاح عبده محمد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

صدق الله العظيم

سورة الأعراف الآيات ١٧٥: ١٧٧

إشكالية البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم "الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى"، وبعد...

فإن الموت له هيبته...

والأموات لهم حرمتهم.....

والقبور لها رهبتها......

وقد نهت شريعتنا الغراء عن نبش القبور، ورغم ذلك فقد قام نفر من بيننا حرص – كل الحرص– على ارتكاب هذه الجريمة النكراء، واقتراف هذا الذنب البشع، لا لشيئ إلا القيام باستخراج جيفة متنتة، وبعث فكرة متعفنة.

ففى منتصف هذا العام ٢٠٠٧م قام هؤلاء النفر بإعادة إنتاج الكفر، باستنساخه ونشره، والترويج له، ولم يجدوا بين أيديهم سوى وريقات صاغها الملحد المرتد إسماعيل أدهم (١٩١١– ١٩٤٠م) ذلكم التركى الأخرق الذى فتحت له مصر ذراعيها وضمته إلى صدرها، فكافأها بصنيعه اللئيم هذا حيث نشر رسالته "لماذا أنا ملحد؟" فى عام ١٩٣٧م، وقد تصدى له الغيورون على دينهم وبنى وطنهم، فقاموا بالرد عليه، وعلى رأسهم: أحمد زكى أبو شادي، ومحمد فريد وجدى، وماتت الفتنة فى مهدها، واندفنت من فورها بهلاك صاحبها منتحرا بعد ذلك بفترة وجيزة فى عام ١٩٤٠م.

ولا شك فى أن مصر الآن تعيش فى مناخ من الحرية غير مسبوق، وفى ظله لم يجد هؤلاء الشواذ ما يقدمونه لوطنهم سوى الكفر والكفران، الكفر بالله عز وجل، والكفران بالوطن، والانطلاق بحرية غير مسئولة ليس لها إلا معنى واحد هو الانفلات، وهو ما يشكل أبشع صورة من صور استغلال هذا المناخ الصحى الآمن، فى محاولة شبيهة بما كانت عليه مصر فى حقبة الستينيات – عقد النكسة– حيث كان المد الشيوعى على أشده حربا للدين وملاحقة لأهله، بالانتصار للمذهب الشيوعى، والترويج له، والتمكين لأصحابه بتيسير اعتلائهم منابر توجيه الرأى العام فى وسائل الإعلام.

ويريد أذنابهم – اليوم– إعادة بعث هذه الفترة النكدة بمحاولة نفخ الحياة فى خطابها المحتضر؛ ولهذا رأينا عدائية للدين، وعدوانا على أهله، وتعددت المناهج وتنوعت الأساليب، فتارة نقرأ تطاولا على الذات الإلهية، وأخرى نقرأ

هجوما على السنة النبوية، وثالثة نطالع تطاولا على رموز المؤسسات الدينية الرسمية، ورابعة... وخامسة... ولا ينتهى الهجوم أبدا، بل تتزايد الوجوه المعادية، وتتساقط الأقنعة البالية.

ومما ساعد على النفخ فى النار شيوع فتاوى لم يكن المناخ مناسبا لها مثل: رضاع الكبير، أو شرب بول النبى ﷺ.

ولست ممن يخافون على الإسلام، أو ترتعد فرائصهم كلما تعرض لهجوم من أى نوع، ورغم ذلك فإننى فى شدة الخوف من أمر واحد، وهو: تهوين أمر الدين عند الناس، وهو الهدف الرئيسي لهؤلاء الخونة الذين لا يتورعون عن أى شيء: قولا وفعلا فى سبيل الاقتراب منه، أو الوصول إلى تحقيقه، وهم من أجل ذلك يصرون على الهجوم على الإسلام، وعلى عقيدته، وكتابه، ورسوله، وعلى كبار الصحابة، وعلى علماء الدين المسلمين، وعلى رجال الدين النصارى.

وفى تطور درامى عجيب خرجوا على الناس بالكفر الصريح، وأخرجوا كراسة الإلحاد من قبرها، كما يفعل السحرة عندما يخرجون الطيور من أغطية رؤوسهم، وبيض الدجاج من أكمامهم على غير توقع من المتفرجين؛ ليفاجئوهم بحركاتهم ظنا منهم أنهم يسلبون إعجابهم، فيسرقون دينهم، ويستلون عقيدتهم من صدورهم.

ولهذا فقد أردت من خلال هذه الصفحات التصدى لهم كما تصديت للبهائيين من قبلهم [1]، وإنى أستعين بالله عز وجل على مواجهة هؤلاء المارقين بهذا البحث الذى جعلته تحت عنوان:

تجربة إسماعيل أدهم الإلحادية (عرض ونقض)

وأريد أن ألفت الأنظار إلى أمر مهم، وهو عدم اعتبار هذه التجربة فردية رغم شخصانيتها الواضحة؛ لأنها تعبر عن تيار فى الفكر الإنسانى عامة، والفكر المصرى خاصة، ولهذا فإننا نقف ضد هذا التيار من خلال عرض هذه التجربة الإلحادية، ونتصدى له عبر نقضها، وقد جاء هذا البحث على النحو التالى:

- إشكالية البحث.
- المبحث الأول: الجو العام لإعادة نشر الإلحاد.

---

(1) انظر: البهائيون فى مصر وخطورتهم على الأمن القومى، بحث منشور فى حولية كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، العدد الثامن عشر عام ٢٠٠٦م، ص ١٠١١ ص ١١١٤.

- المبحث الثانى: إسماعيل أدهم: ملامح شخصيته وأضواء على تجربته.
- المبحث الثالث: نقض تجربة أدهم الإلحادية.
- الخاتمة.

أما عن أسباب اختيار الموضوع فيمكن تلخيصها فيما يلى:

أولا: احتفال الدوائر المشبوهة محليا بتجربة ذلك الملحد، مما يحتم علينا ضرورة مواجهتهم، وفضح خططهم، وكشف شبهاتهم، وتقويض أسسهم التى يريدون رفع أبنية الإلحاد فوقها.

ثانيا: اكتمال تجربة إسماعيل أدهم من خلال امتزاج الشخصى فيها بالموضوعى فى طرح صاحبها لها، بالإضافة إلى محاولة إكسابها بعض المصداقية بزعم ارتكازها على قاعدة علمية، بينما توزعت التجارب الإلحادية المعاصرة [1] - فى أقوال متناثرة دون إطار عام يربط أنساقها المتبعثرة.

---

(1) مثل تجربة عبد الكريم نبيل سليمان الذى كان مسلما ثم ارتد، وكان طالبا أزهريا ثم فصل من الجامعة، وقد أعلن هذا المرتد عن عقيدته بأن الإنسان هو إله نفسه، وأعلن عن كفره بالقدر، وتطاول على النبى ﷺ، وعلى المسلمين، ثم على الأزهر وأهله. انظر: http://www.coptichistory.org/new

ثم يأتى حلمى سالم الشاعر الماركسى المعروف الذى تطاول على الذات الإلهية فى قصيدة له بعنوان " شرفة ليلى مراد" يقول فى مقطع منها:

الرب ليس شرطيا
حتى يمسك الجناة من قفاهم
إنما هو قروى يزغط البط
ويجس ضرع البقرة بأصبعه صائحا:
وافر هذا اللبن

الجناة أحرار لأنهم امتحاننا الذى يضعه الرب آخر كل فصل قبل أن يؤلف سورة البقرة انظر: http://www.٠٧٧٧٠٥٥٥.com/news-service

وتنضم نوال السعداوى إلى قائمة [illegible] رواية الإله يقدم استقالته، بل تطالب بتعديل نصوص القرآن الكريم خاصة الآيات التى تحدث فيها المولى عن ذاته بصيغة التذكير، وحددت سورة الإخلاص حيث تريد تعديلها من " قل هو الله أحد" إلى " قل هى الله أحد" باعتبار أن الله روح والروح مؤنث وليس مذكرا.

انظر: جريدة الغد: السبت ٦يناير ٢٠٠٧م

وطالبت بإلغاء الآية الكريمة: " للذكر مثل حظ الأنثيين"

انظر: جريدة عقيدتى: الثلاثاء ٢٧ فبراير ٢٠٠٧م

فضلا عن إفساح المجال للقرآنيين والشيوعيين والبهائيين والعلمانيين وغيرهم فى كل وسائل الإعلام لنشر وإذاعة وعرض إلحادهم وفجورهم، واللافت للنظر انحسار الردود وانعدام المواجهات

ثالثا: استعلان ذلك الملحد بإلحاده، والتصريح به، وبارتياحه له مثلما يستريح المؤمنون إلى إيمانهم.

أما عن منهج البحث فسيكون سرديا تاريخيا عند الحديث عن الجو العام الذى عادت فيه رسالته إلى الظهور، وفى الجزء الذى يخص جوانب حياته الشخصية من البحث، ثم نتحول إلى المنهج التحليلى النقدى المقارن عند معالجة وتقويم تجربته الإلحادية، ولا يفوتنا أن ننوه بأننا توخينا الأمانة المطلقة فى عرض أفكاره، فلم نزد حرفا على ما قال، ولم ننقص حرفا مما قال.

وقد صادفتنا صعوبات عدة فى أثناء البحث، منها: قلة المراجع التى تحدثت عنه وعن تجربته الأولى ومنها: تعذر العثور على مؤلفاته كلها التى كان من الممكن أن تلقى مزيدا من الأضواء على تجربته، ورغم ذلك فقد يسر الله تعالى الحصول على رسالة أخرى تحت عنوان: " من مصادر التاريخ الإسلامى"[١]، وهى وثيقة الصلة برسالته: " لماذا أنا ملحد؟" بل تعتبر تمهيدا لها وخصوصا إذا راعينا توقيت نشر كل منهما، فالرسالة الأولى نشرت فى عام ١٩٣٦م وقد صادرتها الحكومة لتطاول صاحبها على السنة النبوية المطهرة؛ لأنه جعل أهم أهدافها عدم الاعتراف بالحديث النبوى الشريف، فإذا تم له ذلك فقد انهار – من وجهة نظره – نصف الإسلام متمثلا فى عدم اعترافه بنبوة محمد ﷺ، وهو نصف الشهادة (أشهد أن محمداً رسول الله) انقض على نصفها الأول ليس بإنكار التوحيد فحسب بل بإنكار وجود الله تعالى، وقد صنع ذلك فعلا بتأليف رسالة " لماذا أنا ملحد؟" ونشرها فى عام ١٩٣٧م، والمثير للاستغراب عدم مصادرتها رغم مصادمتها للرأى العام المصرى فى هذا التوقيت، ورغم مصادرة رسالته السابقة وهى أقل منها خطورة!!

وهذا البحث ليس تأريخا للإلحاد فى عصوره – قديما وحديثا–، ولا بحثا عن أسبابه، ولا التماسا لوسائل علاجه، واجتثاث جذوره، فقد كفتنا دراسات متعددة معاناة هذا الأمر، ومعالجة تفاصيله، منها الدراسة التى أعدها الدكتور عبد الرحمن بدوى تحت عنوان:

المتكافئة بإضعاف فرصة علماء الدين فى الرد عليهم والذود عن عقائدهم، والى الله المشتكى.

(١) طبع مطبعة صلاح الدين الكبرى/ الإسكندرية/ الطبعة الأولى سنة١٩٣٦م.

" من تاريخ الإلحاد فى الإسلام"[١] ، وقد نشرها أول مرة فى عام ١٩٤٥م، ثم طبعت للمرة الثالثة فى هذا العام، ومنها الدراسة التى أعدها الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق تحت عنوان: "الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها"[٢] ، والدراسة التى أعدها الزميل الفاضل الدكتور إبراهيم عبد الشافى تحت عنوان: "التحليل النفسى لظاهرة الإلحاد"[٣].

كما لا يخفى علينا أن الدراسات التى أعدت حول التيارات الفكرية، أو الفلسفة الحديثة، أو الغزو الفكرى، أو ما شابه ذلك قد تعرضت بشكل أو بآخر لقضية الإلحاد، لحضور هذه الظاهرة بوضوح فى هذه الميادين فى كل العصور.

والإلحاد جريمة نكراء فى حق الله تعالى، وفى حق الإنسانية، وقد أقسم الله عز وجل على خسر الإنسان مع استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وفى ذلك يقول العلامة الدكتور زغلول النجار تحت عنوان: من الإعجاز الإنبائى فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[٤]: "يعلم ربنا تبارك وتعالى بعلمه المحيط أن الغالبية من الناس لن يكونوا مؤمنين، وأخبر بذلك خاتم أنبيائه ورسله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة بقوله العزيز: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[٥]، وأكد ربنا هذه الحقيقة فى سورة العصر.

والتاريخ كله يؤكد هذه الحقيقة التى يدعمها الواقع الراهن الذى يعيش فيه اليوم أكثر من بليون ملحد يشكلون حوالى ١٦% من مجموع سكان العالم.

بينما يشكل المسلمون حوالى ٢٥%

والنصارى حوالى ٢٩%

والهندوس ١٤%

ومتبعو بعض التقاليد الصينية القديمة ٥%

ومتبعو التقاليد الأفريقية المحلية ٥%

(١)نشر دار الشعاع/ القاهرة/ الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٧م.

(٢)طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، المملكة العربية السعودية/ الطبعة الثانية سنة١٤٠٤هـ.

(٣)طبع مطبعة الحسين الإسلامية/ القاهرة/ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.

(٤)سورة العصر: الآية رقم ٢.

(٥)سورة يوسف: الآية رقم ١٠٣.

والسيخ ٠,٣٦%

واليهود ٠,٢٢%

والباقي وقدره ٠,٤٢% بعض الديانات الأخرى.

وإذا علمنا أن عدد الذين يعلنون إلحادهم فى عالم اليوم يزيد عن البليون نسمة علمنا أننا نعيش فى زمن من الفتن المتلاحقة"[١].

هذه الإحصائية تستوجب الانتباه، وخصوصا من أصحاب الأديان السماوية: المسلمين والنصارى واليهود، وضرورة إحياء الحوار الحضارى فيما بينهم، وإثرائه فى جوانب الاتفاق، والنأى به عن مواطن الاختلاف، ومن الأهمية بمكان الاتفاق حول هدف واحد وهو: مواجهة الإلحاد بكل صوره وأشكاله، ووضع استراتيجية موحدة طويلة الأمد لتحقيق هذا الهدف الأسمى؛ لأن الملحدين كالفيروسات والجراثيم التى تسبب الأمراض التى تهلك الحرث والنسل؛ لخطورة إلحادهم وأضرارهم المؤكدة على العقيدة، وعلى الأخلاق والسلوك.

ومصر مستهدفة، ولهذا فهى فى رباط إلى يوم القيامة، وجندها خير أجناد

(١)جريدة الأهرام: الإثنين ٣ سبتمبر ٢٠٠٧م.

الأرض كما أخبر بذلك الرسول ﷺ وأرجو أن أكون منهم لا سيما وأن الجهاد لم يعد وقفا على خطوط التماس مع الأعداء فى ساحات المواجهات العسكرية بل امتد ليشمل ميادين أخرى؛ ولهذا ارتأينا وارتضينا الجهاد بالكلمة، والجهاد باللسان وحمل القلم فى هذا الزمان لا يقل خطرا ولا أهمية عن حمل السلاح؛ "إن التقوية لأسباب الدين والدعاء إليه قد تكون باليد، وقد تكون باللسان، إلا أن الحاجة إلى تأييده بقوة اللسان تكون أمس منه إلى تأييده بقوة اليد.

إن مكايدة المحتال من طريقة التمويه باللسان تكون أنكى من مكايدة المغتال من طريق السيف والسنان.

وكيف لا تكون كذلك وهى مكايدة روحية، وهذه مكايدة جسمانية"[٢].

ويأتى هذا البحث كومضة ضوء فى ظلمة حالكة لعل الله تعالى ينير به قلوبا تنتظر الهدى فتنجو من الردى، أما

(٢)أبو الحسن محمد بن يوسف العامرى ٣٨١هـ: الإعلام بمناقب الإسلام ص١٨٠ تحقيق ودراسة الدكتور أحمد عبد الحميد غراب.

الذين ﴿ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[١] فأولئك ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[٢] جعلنا الله تعالى منهم بفضله لا بعملنا.

والله أسأل أن يجعل بحثى هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله بقبول حسن، وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. محمد صلاح عبده محمد

(١)سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٢)سورة يونس: الآية ٦٤.

المبحث الأول

الجو العام لإعادة نشر الإلحاد

علمنا من السطور الأولى لهذا البحث أن المرتد إسماعيل أدهم قام بنشر رسالته " لماذا أنا ملحد"؟ فى عام ١٩٣٧م، وانتحر فى عام ١٩٤٠م، كما علمنا أن بعض المصريين قاموا بإعادة نشرها وتوزيعها فى هذا العام ٢٠٠٧م، ثم وجدنا من يتباهى بجناح الحرية الذى كان سائدا فى هذه الفترة من الزمن التى كان الجهر بالكفر فيها أمرا مباحا، واحترام الملحدين واضحا كل الوضوح كما سنرى بعد قليل.

ثم توازى التباهى مع التباكى على ذلك الزمن الغابر، حيث طالعنا ذلك على صفحات بعض الصحف الحزبية[٣] والمستقلة[٤].

وكنت – ومازلت– أنظر بكثير من الريبة إلى هذا الطرح المتباكى الصادر عن كثير ممن ينتسبون إلى المؤسسات الإعلامية، والدوائر الثقافية الحاضرة فى الساحة المصرية على الحرية التى أتاحت

(٣) جريدة الأهالى: الأربعاء ٤ أبريل ٢٠٠٧م.

(٤) جريدة الدستور: الأربعاء ١٨ يوليو ٢٠٠٧م.

نشر الإلحاد، وأباحت المجاهرة بـه فى القرن الماضى.

وكان حجم ريبتى يتضاعف، وشكوكى تتزايد كلما كشف لى البحث بعض المستور، أو صادفت فتحا يسر لى فهم ما بين السطور، ومن ذلك مثلا ما قرأته للدكتور جابر عصفور فى قوله: " والحق أن المرء يشعر بالفخر بمناخ الحرية الذى كتب فيه إسماعيل أدهم مقاله، فلم يسجن أو تصادر المجلة التى نشر فيها، ولا سحب الكتيب الذى طبعه من الأسواق، ولم يعاقب صاحب المجلة أو المطبعة أو الناشر بشئ.

من الحق أيضا أن يشعر المسلم بالفخر والاعتزاز بمحمد فريد وجدى وما يمثله من نموذج راق للمفكر الدينى الذى يحاور بعلم ومعرفة ودراية، ولا يخفى جهله باتهام غيره، أو يستر ضعفه بإرهاب من يحاوره، فالرجل يستخدم الحجة لا القمع، ولا يلجأ إلى سلطة الشرطة بل إلى سلطة العقل، ويبدأ حواره من حق مخالفه فى التعبير الحر عن رأيه مهما كان هذا الرأى.

بعبارة أخرى: تعيدنا دراسة محمد فريد وجدى إلى ذكريات الكبار من علماء الكلام الذى كان ما يحسنونه من كلام الدين فى وزن ما يتقنونه من كلام الفلسفة فاستطاعوا تأكيد مبادئ العدل والتوحيد، وخدموا الإسلام بما يعجز عنه كل هؤلاء الذين يرهبون غيرهم باسم الإسلام[1] "، أو كما يقول فى سياق آخر عن محمد فريد وجدى:" هذا مفكر إسلامى جليل لا يجد حرجا فى الرد على من يعلن إلحاده بأكثر من سبيل، ويواجه هذا الإلحاد محترما صاحبه مؤمنا بحقوقه الدستورية فلا يتحدث إلا بكلمة " حضوة" جادا لا هازلا، ومحاورا لا مرهبا، ومناقشا الحجة بالحجة.

هذا المفكر الإسلامى واثق من عقيدته، واثق من تمكنه فى الإقناع واثق من قدرات العقل على استمالة الجاحد والملحد والشاك، مؤمن أن العقل حجة الله على خلقه...."[2] . ونحن نعرف لمحمد فريد وجدى قدره كما أقر له بالفضل علماؤنا البررة كالشيخ محمد

(1) د. جابر عصفور: التنوير يواجه الإظلام ص٢٣.

(2) السابق: ص٢٦، ولنا تعليق فى سؤال: هل أعاد الحوار العقلى المدعوم بالاحترام الملحد إلى الإيمان؟ وهل استمال منهج وجدى الملحد إسماعيل أدهم فتراجع عن إلحاده؟ والإجابة معروفة ويعرفها عصفور قبل غيره!!

الغزالى[1] ، والأستاذ أنور الجندى[2] ، ولكن الحق أقرب إلينا منه، حيث كان من المفترض تقديم هذا الملحد للقضاء، أو المطالبة بمصادرة رسالته الإلحادية مثلما صودرت الرسالة السابقة لها كما ذكرنا من قبل، ولكن حكم القضاء الأعلى كان أسرع بقضاء هذا الملحد نحبه منتحرا فأراح العباد من رجسه، وطهر البلاد من نجسه.

ولدينا ملاحظة نسوقها على عجل بمناسبة هذا الطرح المتباكى على مناخ الحرية فى ذلك الزمن، وما يناظره من أزمان وفرت مناخا مشابها، وهذه الملاحظة تخص نوع الحرية المأسوف على فقدها فى عصرنا الحاضر فى زعم هؤلاء البكائين وهو المرتبط بالخروج على الدين والخلق الحسن؛ بدليل الثناء على مناخ الحرية الذى أتاح نشر التراث اليونانى الوثنى، ونشر أصل الأنواع لدارون، وحفظ التحقيق مع د. طه حسين فى قضيته حول كتابه "فى الشعر الجاهلى"، ورد الاعتبار للشيخ على عبد الرازق بعد فصله من عضوية هيئة كبار العلماء بسبب آرائه فى كتابه " الإسلام وأصول الحكم"[3] ، وغير ذلك من النماذج الصادمة للأمة فى دينها ومعتقداتها وأخلاقها، كسلمان رشدى فى " آياته الشيطانية" وحيدر حيدر فى روايته " وليمة لأعشاب البحر" وعلى حد تعبير أحد أصحاب هذا الاتجاه: " يتم الاعتداء على الإبداع فى ظل الردة الدينية السائدة فى المجتمعات العربية الآن، والتى تدق ناقوس الخطر، وتكاد تفرغ المجتمعات من هويتها وخصوصيتها الثقافية عبر إلباسها عباءة الدين، ووأد الحرية والإبداع والفكر[4] "، وهكذا رأينا هذا الطرح الماركسى الخائن الذى

(1) مع الله: دراسات فى الدعوة والدعاة ص ٣٠١

(2) محمد فريد وجدى: رائد التوفيق بين العلم والدين، ولكننى مندهش لأن الأستاذ أنور الجندى لم يشر من قريب أو بعيد فى هذا الكتاب عن هذا السجال الفكرى الذى دار بين وجدى وبين أدهم رغم وجود موضوعات يستدعى سياقها ذكر هذا السجال، وخصوصا فى الباب الثالث الذى خصصه لمساجلات محمد فريد وجدى ومعاركه وذكر منها مواجهته كل خصوم الدين والروحية وما وراء المادة من أمثال شبلى شميل، والدكتور صروف، إلا أنه لم يورد فى السياق أى ذكر للملحد إسماعيل أدهم. انظر الباب الثالث ص ١٤١ ص١٨٧.

(3) التنوير يواجه الإظلام ص٣ ص٢٧.

(4) جريدة الأهالى: الأربعاء ٤ أبريل ٢٠٠٤م.

قلب الحقيقة رأسا على عقب فجعل الصحوة الإسلامية ردة دينية، وأورد نماذج تنضح بالحقد والفجور والإلحاد ضد الأديان، وخصوصا الإسلام.

والذى يؤكد للقارئ الكريم صدق هذا الاستنتاج وشفافية هذه الملاحظة التى رصدت الربط بين الحرية وبين إباحة الفسوق، أو إتاحة الخروج على الدين والخلق ما ذكره الدكتور عبد الرحمن بدوى فى ذلك الزمن القريب جدا من زمن إسماعيل أدهم، فلا يفصل بينهما سوى بضع سنين فى أدنى الأرض، فأدهم نشر رسالته بالإسكندرية فى سنة ١٩٣٧م، وبدوى نشر كتابه عن الإلحاد بالقاهرة فى سنة ١٩٤٥م، ومما جاء فيه بخط يده قائلا بالحرف الواحد عن الرازى غير خجل ولا وجل من إعلان انبهاره بإلحاده: " الرازى إذا يؤمن بإله خالق حكيم، ولكنه لا يؤمن بالنبوة والأديان، ويترع نزعة فكرية حرة من كل آثار التقليد أو العدوى، ويؤكد حقوق العقل وسلطانه الذى لا يحده شئ، وينحو منحى تنويريا شبيها كل الشبه بحركة التنوير عند السوفسطائيين اليونانيين، وخصوصا بحركة التنوير فى القرن الثامن عشر، ويدعو إلى إيجاد نزعة إنسانية خالصة خالطتها روح وثنية حرة، مما يجعل من الرازى شخصية فكرية من الطراز الأول، وواحدا من أحرار العقل النادرين فى التاريخ، ومن أجرأ المفكرين الذين عرفتهم الإنسانية طوال تاريخها.

ولا يسع المرء إلا أن يمتلئ إعجابا بهذا الجو الطليق الذى هيأه الإسلام للفكر فى ذلك العصر؛ مما يدل على ما كان عليه العقل الإسلامى فى ذلك العصر من خصب ونضوج.

أترى يتحقق مثل هذا الجو مرة أخرى فى حضارتنا العربية التى نأمل فى إيجادها؟" (١).

وربما يكون حماس الشباب هو الذى دفع الدكتور بدوى لإعلان رأيه هذا فى صدر حياته العلمية، ونحن لا نلتمس له العذر من فراغ بل من خلال الخط البيانى لفكره الذى تمادى به فى خواتيم عمره إلى الانتصار للإسلام بإصداراته المهمة ويكفى أن نتعرف على هذه العناوين منها: " دفاع عن القرآن ضد منتقديه"، و" دفاع عن الرسول ﷺ

(١) د. عبد الرحمن بدوى: من تاريخ الإلحاد فى الإسلام ص٢٦٣.

ضد المنتقصين من قدره"، فوقف ضد الطرح الغربى فى وجهه المظلم ضد الإسلام، وقد تسلح بأدوات الفكر الغربى: منهجا وقراءة وتأليفا، فكان -بذلك- أكثر جدارة من غيره فى الرد على افتراءاتهم وتفنيدها، وقد نشر الكتابان فى الطبعة العربية عام ١٩٩٩م.

فإذا كنا نتفهم موقف الدكتور بدوى فى بداياته فإننا لا نستطيع فهم موقف الدكتور حسن حنفى فى تبنى الرؤية الأولى لبدوى قبل نضجه الفكرى، فيقول بعد ما يزيد على نصف قرن من الزمان عن أحد كتب بدوى: " وبالرغم من أن " من تاريخ الإلحاد فى الإسلام" لا يوضح فى التصدير العام الهدف النهضوى منه إلا أن العبارة الأخيرة فيه توضح ذلك، وهى حرية العقل الإسلامى فى العصور الأولى، فهل يمكن أن تعود مرة أخرى؟!" (١)، ثم يقول مؤكدا على نفس المعنى: "ولكنه -أى كتاب بدوى عن الإلحاد- ظل كتابا جريئا فى وقته، وأجرأ منه أن يعاد طبعه فى هذه الأيام فى موجة التكفير فى زمن التفكير"(٢).

نعود إلى الملحد إسماعيل أدهم الذى حاولنا العثور على كراسته الإلحادية فى الأوساط التى احتفلت بها، وأعادت توزيعها فذهبت مساعينا أدراج الرياح، فاحتسبناها عند الله عز وجل، ولكننا لم نيأس، وأعدنا محاولة البحث إلى أن وجدناها على أحد مواقع الشبكة الدولية للمعلومات، وهو موقع " اللا دينيين العرب"، فانزعجت غاية الانزعاج مما رأيته على هذا الموقع من فجور فى الإلحاد لم أر له نظيرا على مدار تاريخ الفكر الإنسانى، وقد نشأ موقع آخر تحت عنوان " الملحدون العرب" نلتقط من صفحته الأساسية هذه العناوين:

مواقع شاملة للفكر اللاديني.

مواقع الإلحاد.

مواقع اللا أدرية.

مواقع الشكوكية.

مواقع المذهب الطبيعي.

مواقع العلمانية.

(١) د.حسن حنفى: الفيلسوف الشامل: مسار حياة وبنية عمل ص٧٧ ضمن الكتاب التذكارى عن د. بدوى.

(٢) السابق: ص ٧٨، ومن الملاحظ أن كتاب بدوى عن الإلحاد طبع ثلاث مرات حتى الآن: الأولى فى عام ١٩٤٥م، والثانية فى عام ١٩٩٣م، والثالثة فى عام ٢٠٠٧م.

مواقع الإنسانية العلمانية.

مواقع العقلانية.

مواقع المادية

مواقع الفيزيقية.

مواقع الفكر الحر

مواقع محايدة.

مواقع لا دينية ضد الأديان.

ويقارن أحد المواقع اللادينية بين الإلحاد وبين اللادينية بعد تعريفها بما يلي:

" اللا دينية هى اتجاه فكرى يرفض مرجعية الدين فى حياة الإنسان، ويؤمن بحق الإنسان فى رسم حاضره ومستقبله واختيار مصيره بنفسه دون وصاية دين أو تحكم شريعة.

واللادينية تختلف عن المفهوم التقليدى للإلحاد الذى يتخذ من قضية إنكار وجود الخالق منطلقا وركيزة أساسية، إذ تقدم اللادينية تصورا أكثر شمولا واتساعا للدين، فلا تختزل الدين بمجرد الإلهية، وإنما تطرح الإلهية باعتبارها جزءا صغيرا من منظومة فكرية واسعة، حيث تحمل اللادينية أطيافا متعددة لفهم الإلهية من الإنكار الكامل لها مرورا باللاأدرية، أو عدم الاكتراث أصلا بوجود إله، وانتهاء بإيمان خاص بوجود إله وفق فهم محدود لعلاقته بالإنسان"[١].

وقد بدأت تتشكل فى العالم العربى والإسلامى – للأسف الشديد – حديثا حركات إلحادية ولا دينية، ولكنها لازالت تخشى الملاحقة، وظهرت فى السنوات الأخيرة أصوات تحاول تنظيم نفسها، وتنشر الفكر الإلحادى فى العالم العربى، ولكنها لا تزال فى مرحلة بدائية جدا، ويقتصر نشاطها على شبكة الإنترنت، ويتبادل هؤلاء الأشخاص الآراء تحت أسماء غير معروفة.

وبتصفح هذه المواقع امتلأت النفس بالألم والحسرة لطغيان الموجات والتيارات الإلحادية العربية وفجورها فى نفس الوقت، والملاحظة الأولى التى يخرج بها كل إنسان دون عناء هو انفراد الإسلام من بين سائر الأديان السماوية والوضعية بحظ وافر من العدائية الوقحة، والخصومة الفاجرة.

فإذا عرفنا أن عدد متصفحى هذه المواقع يقدر بمئات الألوف أحسسنا بحجم الخطر المحدق بنا، والذى يتعرض

(١) نقلا عن موقع http://ar.wikepedia.org/wiki

له ديننا، فماذا نحن فاعلون ضد هذا الطوفان الفاجر من المد الإلحادى السافر؟، وكيف نحصن أنفسنا لمواجهته؟، وكيف نعد العدة للدفاع عن معتقداتنا ومقدساتنا؟ إن الأمر جد لا هزل فيه، والمصاب جلل لا عزاء له!!

ولا مفر أمامنا من إشراك القارئ معنا فى التعرف على بعض البيانات بالغة الخطورة، ولا يعترض علينا أحد زاعما أننا بذلك نساهم فى الترويج للإلحاد، فتلك حجة داحضة لأن الإنترنت الآن صار فى متناول الجميع، ولم تعد قراءة المواقع وقفا على الحواسيب بل إن التقنيات الحديثة فى ثورة الاتصالات – بعد الجيل الثالث فى الهواتف– جعلت الإطلاع على النت أمرا ميسورا وخدمة متاحة من خلال هواتف المحمول الذى أصبح فى متناول الصغار إلى جوار الكبار.

نشأة موقع " الملحدون العرب":

الزمان: الاثنين ١٥ أغسطس ٢٠٠٥م.

المكان: شبكة الإنترنت، المصدر الأول للمعلومات لملايين الأشخاص فى كافة أرجاء العالم.

المنشئ: الذى قام بإنشاء هذا الموقع هو " ملحد عربى" مصرى الجنسية، وهو يرجو أن يزيد عدد المشاركين فى بناء الموقع من أبناء الوطن العربى الذين يحملون أفكارا للإصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى، والذين يحملون فكر تأسيس الحريات الأساسية، وإقامة الديموقراطية، وحماية الأقليات....إلخ.

استهداف الإسلام بالعداء:

والذى يؤكد ذلك دون تجاوز منا هو قول منشئ هذا الموقع عن نفسه على سبيل التعريف، وسيرى القارئ كيف أن الإسلام مستهدف عند هذا الفاجر، ومن يقف خلفه أو إلى جواره فى هذه العدائية الواضحة، وفى ذلك يقول:" أرى أنى يجب أن أتكلم عن نفسى بالطبع بمصطلح "ملحد عربى"، وهو صفة وليس اسمى الحقيقى، والسبب وراء عدم ذكر اسمى الحقيقى هو أن هناك العديد من المتطرفين داخل الوطن العربى وخارجه الذين يريدون قتل أى شخص يختلف معهم فى وجهة النظر، فما بالك بشخص يرتد عن دينه الإسلامى، والذى بعد طول تفكير وجد أن كتابه المقدس (القرآن) لا يصلح إلا ككتاب تاريخ

ليس جيدا فى الواقع، وليس كقيم تعطى للإنسانية.

كنت مسلما حتى سن السابعة عشر على الأكثر عندما بدأت تتكشف لدى الأخطاء الفادحة التى يرتكبها الإسلام فى موضوعات مختلفة، الإسلام بالنسبة إلى هو مصدر للكراهية، ولا يمكن أن تتقدم شعوب الوطن العربى، وشعوب "العالم الإسلامى" عامة بدون التخلص منه"[1].

إن فى الصدر شيئا حول اعتراف كاتب هذا الكلام الذى جعل مداد قلمه قيحا وصديدا بأنه عربى مصرى كان مسلما فارتد عن الإسلام، فأغلب الظن لدى أنه لم يكن يوما ما عربيا ولا مصريا، ولم يكن بالتوازى مع ذلك مسلما فى يوم من الأيام، ففضلا عن أسلوبه الركيك، وجهالته الواضحة فإننى أشتم منه رائحة صليبية بغيضة.

وليس هذا فحسب بل إنه فى سياق آخر يفصح عن نفسه فيفضحها أكثر بما نشتم منه رائحة صهيونية، وبذلك نرى الصورة أكثر وضوحا لاجتماع

(1) فقرات مقتبسة من موقع http://v/www.arabatheist.humanists.net/final

الصهيونية العالمية مع الصليبية على إعلان العداء للإسلام والمسلمين فى كل الجبهات: عسكريا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا، والأمثلة أكثر من أن تحصى.

فهذا " الهرمجدونى" القمى يفصح عن صهيونيته بإبداء رأيه فى المقاومة الفلسطينية التى يقول عنها: "إننا نتفهم مشاعر الفلسطينيين إلا أننا ننادى بأن تكون المقاومة سلمية ولا تستعمل السلاح إلا بأمر من السلطة الفلسطينية المنتخبة.

ونحن نرى أن العمليات الانتحارية ضد المواطنين المدنيين الإسرائيليين هى عمليات إرهابية لا تجر على الشعب الفلسطينى إلا الخراب والدمار وتسوء [كذا] من صورة العرب فى العالم"[2].

فهل هذه اللغة يقولها عربى مصرى، إنها أشبه بالطرح الغربى، والرؤية الاستعمارية للصراع العربى/ الإسرائيلى، ولا تكاد تختلف عن تصريحات الساسة الغربيين الموالين لحكومة إسرائيل وهل هذا حديث شخص واحد؟ أم حديث هيئات ومؤسسات؟

(2) فقرات مقتبسة من موقع http://www.arabatheist.humanists.net/final

والذى يؤكد صدق ظنوننا أن المقصود الأول من هذه المواقع المشبوهة الإسلام وحده هو ما جاء فى تصريحهم بأنهم " ضد التعاليم الإسلامية التى تولد الكره والعنف فى المسلمين، وضد التعاليم التى تؤدى إلى تمييز المسلمين عن غير المسلمين فى مجال الحياة الدنيوية، ونحن ضد فرض التعاليم الدينية الإسلامية فى المدارس والمؤسسات العامة"[1].

فإذا كانوا صادقين فى إلحادهم الذى يعنى التنكر لكل الأديان وعدم الاعتراف بها فلماذا خصوا الإسلام وحده بهذه العدائية الواضحة؟ لماذا أعلنوا أنهم ضد التعاليم الإسلامية فقط؟ فماذا عن التعاليم اليهودية؟ وماذا أيضا عن التعاليم النصرانية؟

وما هى رؤيتهم – إذا كانوا حقا عربا مصريين وسابقا مسلمين- فى إراقة دماء العرب والمسلمين بل والأقباط فى بؤر الصراع العديدة على الخريطة العربية والإسلامية على أيدى الصهيونية

(1) فقرات مقتبسة من موقع http://www.arabatheist.humanists.net/final

والصليبية الجديدة حسب إعلان كاهنها الأكبر بوش الابن.

أهداف الموقع:

١- توضيح المبادئ العامة للإلحاد بالإضافة إلى توضيح الأفكار الأساسية التى يقوم عليها عدد من المذاهب الأخرى.

٢- شرح رؤيتنا الخاصة لكل من الأديان المختلفة وبخاصة (اليهودية والمسيحية والإسلام).

٣- تقديم عدد كبير من الرؤى الفلسفية لمشاهير العلم والفلسفة.

٤- ترجمة الوثائق والتقارير من لغات العالم المختلفة إلى العربية لإثراء المكتبة العربية بأفكار جديدة.

٥- أن يكون الموقع مكانا لالتقاء أصحاب الفكر الحر سواء كانوا من المؤمنين بوجود الله أو غير المؤمنين بوجوده.

٦- نشر العلمانية وفصل الدين عن الدولة فى الوطن العربى.

٧- نشر الوعى بمفهوم الحريات الأساسية مثل حرية التعبير، وحرية الاعتقاد، والتجمع، والصحافة..إلخ.

٨- تنظيم جبهة موحدة من أصحاب الفكر الحر لمواجهة التطرف والعنف فى الوطن العربى[١] .

الأقليات فى الوطن العربى:

يتحدث أصحاب هذا الموقع بصيغة الجمع _أيضا_ عن رؤيتهم لقضية الأقليات فى العالم العربى بلغة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الموقع المشبوه لا يمكن أن يكون الذين أنشاوه عربا مصريين، أو مسلمين مرتدين عن الإسلام، إن الصياغة لفقرات هذا الموقع تذكرنا بما توعد به الصهاينة العالم كله فى "بروتوكولات حكماء صهيون" من خراب ودمار وفرقة وانقسام ليسود اليهود العالم، فالأقليات فى العالم العربى فى رأيهم قاموا بالتعبير عنها بالصيغة الآتية:" نحن نؤمن بالدولة العلمانية أى الدولة التى لا تبنى على أسس دينية وعرقية بل مبنية على أساس التعددية والديموقراطية وإقامة الحريات العامة.

نحن نؤمن أن الأقليات هى جزء أساسى من تركيبة الوطن العربى يجب أن تحصل على حريتها كاملة غير منقوصة، وبالتالى يجب عليها أن تشارك فى نهضته[٢] .

حقوق المواطنين بين الدعم الخارجى والداخلى:

يقول أصحاب الموقع: "نحن مع الدعم الخارجى لمجموعات حقوق الإنسان وحقوق المرأة والمنظمات المطالبة بالديموقراطية..."[٣] .

ما أشبه هذا الكلام بما تدعو إليه منظمات المجتمع المدنى فى مصر بما ينسجم مع رؤية وزيرة خارجية أمريكا للإصلاح فى الوطن العربى، وإعادة صياغة خريطة الشرق الأوسط، من خلال ما يسمى "الفوضى الخلاقة" بما يتوازى مع تحقيق المصالح الأمريكية اليهودية المشتركة، وللأسف فإن لهم مأجورين خونة بين صفوفنا، وليس أدل على ذلك من عملائهم بيننا الذين يطالبون بتقليص المعونة الأمريكية لمصر فى هذه الظروف العسيرة والمنعطف

---

(١)فقرات مقتبسة من موقع
http://www.arabatheist.humanists.net/final

(٢)فقرات مقتبسة من موقع
http://www.arabatheist.humanists.net/final

(٣)فقرات مقتبسة من موقع
http://www.arabatheist.humanists.net/final

التاريخى الحرج الذى تمر به البلاد، وقد قيض الله كثيرا من الشرفاء من الحزبيين والمحامين وغيرهم لتقديم بلاغات للنائب العام المصرى ضد هذا الخائن بتهم الخيانة العظمى والعمالة لدولة أجنبية...إلخ.

فى هذه المواقع المشبوهة عثرت على رسالة الملحد إسماعيل أدهم " لماذا أنا ملحد؟" وقد توازى معها فى نفس الطرح بعض الملحدين المعاصرين، ونلتقط معا هذه السطور من مقالة "الغريب المنسى" وأعتقد أن هذا الاسم ليس حقيقيا بل هو اسم حركى له دلالته حيث جمع فيه بين الغربة والنسيان، يقول ذلك الغريب الحقير فى مقالته التى عنوانها:" لا منطقية أطروحة الإله الشخصانى خالق الكون": " عجزى عن معرفة مسببات بعض الأنظمة لا يبرر منطقيا تعميم هذا السبب البشرى حتما على تلك الأنظمة اللابشرية فى صورة تجريد ذهنى لإنسان خارق أسميه " الله" مثلا، وإنما يصلح هذا الـ "الله" سببا محتملا يقبل الصواب أو الخطأ.

إذن فإن "الله" هذا يعتبر على المستوى النظرى مجرد احتمال تجريدى، وعلى المستوى العملى ينبغى التعامل معه كما لو كان غير موجود شأنه شأن تجريدات ذهنية عديدة لا برهان على وجودها كالغول والعنقاء"[١]

ويقول ملحد آخر اسمه شهاب الدمشقى فى مرارة واضحة ضد الدين وضد الله عز وجل: " وربما كان الرهان على الدين هو مسألة وقت، فمنذ قرون خلت عندما كانت معارف الإنسان محدودة كانت الغلبة للخرافة، ومع مرور الأيام وتطور العلم تمكن الإنسان من حل بعض الألغاز، وتناقصت تدريجيا الخرافات، ومن يدرى؟؟؟

ربما فى يوم من الأيام سيتمكن الإنسان من حل هذا اللغز الغامض: من أين أتيت؟! عندها:سيموت الله"[٢]، لا يمكن صدور هذا التعبير عن عربى إلا إذا كان ربيبا للثقافة الغربية التى أعلنت عن موت الإله على لسان نيتشه.

فى هذا الجو المسموم، ومن خلال هذا المناخ الملوث بكل هذا الكم الهائل من العدائية للأديان، وخصوصا الإسلام عادت رسالة إسماعيل أدهم الإلحادية إلى

---

(١)نقلا عن موقع:
http://www.ladeeni.net

(٢) السابق: نفس الموقع.

الظهور من جديد، ولكنها قبل ظهورها على الإنترنت كانت قد وزعت بين الشيوعيين فى القاهرة.

بيد أن ظهورها على الإنترنت جاء كرد فعل على إحدى المقالات الصحفية التى هاجمت صاحبتها توزيع هذه الكراسة فى قاهرة المعز، عاصمة مصر، قلب العروبة النابض، وحامية حمى الإسلام بأزهرها المرابط إلى يوم القيامة.

ولكن لماذا وقع اختيارهم على كراسة إسماعيل أدهم بالذات؟، والإجابة على هذا السؤال تجعل من الضرورة وضع بعض الفروض كما يلى:

أولا: التوارى خلف هذا النموذج فرارا من المساءلة، وخشية من المحاسبة، فمن الذى باستطاعته تقديم شخص ميت للمحاكمة، وهو منهج ماكر يتيح لأصحابه الاستعلان بما يريدون من آراء مهما بلغ كفرها وفجورها تسترا بأصحابها الأصليين، وقد عبر الدكتور حسن حنفى عن هذا المنهج بدقة وإيجاز بقوله: "إذ تعبر " الأنا" عن ذاتها من خلال "الآخر" حماية للأنا وتسترا بالآخر"[1].

ثانيا: ادعاء صاحب التجربة بصدوره فى إلحاده عن موقف علمى، وهو ما يريد أنصاره الآن الترويج له بالتلبيس على القراء بزعم اعتماد الإلحاد على أسس علمية، ومن ناحية أخرى ادعاء التعارض بين الإسلام وبين العلم.

ثالثا: سهولة الترويج لنشر هذه التجربة الإلحادية، ويسر تداولها لشدة اختصارها فى صفحات قليلة.

وهذا هو ما قام به هؤلاء الخونة، حيث عثروا على نسخة من رسالة: " لماذا أنا ملحد؟"، وأعادوا طباعتها وتوزيعها وتداولها بين أوساط العلمانيين وأذناب الماركسيين فى القاهرة فى هذا العام (٢٠٠٧م)، وقد صرحت بهذا بعض الصحف واسعة الانتشار داخل مصر وخارجها، وبعض المواقع على شبكة الإنترنت، ففى مقالها الذى جاء عنوانه: " أشرح الخبل كله أم من الخبل أختصر؟ " كتبت الأستاذة صافى ناز كاظم تقول عن هؤلاء: " يلفون ويدورون ويقومون ويقعدون، ولا يكفون عن التحرش، وكأن الدنيا لم يعد يخرها سوى أن دين دولة مصر هو "الإسلام"، وأن خانة توضيح " الديانة" لا

(١) الفيلسوف الشامل: مسلرحياة وبنية عمل، ص٣٩

تزال قائمة فى الأوراق الرسمية، إنهم هؤلاء الذين دأبوا على احتكار لقب " المثقفين"، وأغلبهم لا يعرف من الثقافة سوى عنوان كتاب " لماذا أنا ملحد؟" ينطقونه بتلمظ وفخر.... مع أنه لا يعدو كونه كراسا نحيلا لا يزيد عن ١٣ صفحة كتبها مخبول عام ١٩٣٧م، وانتحر بعدها بثلاث سنوات فى ٢٣ يوليو عام ١٩٤٠م غريقا فى بحر عروس البحر الأبيض المتوسط (الإسكندرية).

وإسماعيل أحمد أدهم المولود فى ١٣ يناير ١٩١١م صاحب هذه الأوراق "العبيطة" التى تعود لتطفو هذه الأيام عوامة يتعلق بها حضراتهم فى نضالهم المكثف من أجل إنقاذ مصر من "الإسلام" و "التدين" و "الإيمان"، والعياذ بالله من شياطين الإنس والجن"[1].

ولم يمض أسبوع حتى انبرى أصحاب موقع "اللادينيين العرب" بنشر كراسة إسماعيل أدهم كاملة كما ذكرنا من قبل ردا على ذلك المقال الذى اقتبسنا منه هذه السطور، وجاء صنيعهم هذا استفزازا لمشاعر ملايين المسلمين فى كل أركان الأرض، وهاهم يعلنون بفجور: " قررنا إعادة نشر هذا الكتاب الصغير بعد أن قرأنا مقال السيدة " صافى ناز كاظم" فى جريدة " الشرق الأوسط"... وحيث إن الضال إسماعيل أدهم لم يعد قادرا على الرد علي "تحفة الألباب" (نقصد القصيدة وليس السيدة) فقد ارتأينا إعادة نشر هذا " الكراس النحيل" عملا بحرية النشر والتعبير التى كانت أفضل حالا فى بلاد العرب قبل أن ينحرها تحالف العسكر والجاز"[2].

ولن نعلق على السخرية الواردة من كاتبة المقال فى هذا النص لاعتبارها هينة بجوار هذا الفجور السافر بنشر هذا الكفر الصريح ليكون متاحا للجميع، وبعد قيامهم بنشر هذه الكراسة قاموا بالتعقيب عليها بقولهم: " لم نعثر على صورة منشورة له، فهل يملك أحد القراء المصريين صورة لإسماعيل أدهم"[3].

ولم يكتف هؤلاء المارقون بنشر كراسة الإلحاد، ولم يكتفوا بالإعلان عن بيعها بالترويج لها عبر الإنترنت ونشر

(١) جريدة الشرق الأوسط الخميس ٣١ مايو ٢٠٠٧م.

(٢) نقلا عن موقع: http://www.ladeeni.net.

(٣) الموقع السابق: نفسه.

صورة لغلافها الحديث الملون بل تمادوا فى مروقهم بمناشدة القراء تزويدهم بصورة شخصية له، وقد أتيح لنا العثور على صورته، وسنقوم بنشرها فى ملاحق البحث، والسؤال: لماذا جاء الخطاب قاصرا على المصريين فقط؟!، ألا يعطى ذلك انطباعا مباشرا بأن المصريين مستهدفون لإفساد دينهم وزعزعة عقائدهم؟!

ولم يكد يمضى أسبوع آخر حتى انتفض صحفى مصرى غيور للتحذير من هذه الهجمة الشرسة على الإسلام، فقد كتب الأستاذ فتحى محمود فى عموده الأسبوعى تحت عنوان " لماذا أنا ملحد؟" مقالا نلتقط منه هذه السطور: "فهم بعض العلمانيين الجدد – عن جهل– العلمانية بشكل خاطئ، وتصوروا أن الهجوم على أى رمز إسلامى يثبت علمانيتهم، فتخصص بعضهم فى الهجوم على الحجاب، واستهدف آخرون أى داعية إسلامى ناجح حتى لو كان مشهودا له بالاعتدال، وانتهز بعض قدامى الماركسيين الفرصة لمحاولة تشويه الإسلام والتخلص من آثاره سواء بطلب إلغاء المادة الثانية من الدستور الخاصة بالشريعة الإسلامية، أو باستغلال بعض المطبوعات التى يسيطرون عليها لنشر الأعمال التى تسئ للذات الإلهية، وتسخر من فكرة الدين.

والغريب أن هؤلاء يحتفون الآن بإعادة تصوير كتيب قديم وتوزيعه على المريدين والأتباع باعتباره الدستور الذى سينقذ مصر، وهو لا يزيد على ١٣ صفحة بعنوان " لماذا أنا ملحد؟" كتبه شخص مضطرب نفسيا يدعى إسماعيل أدهم عام ١٩٣٧م، وانتحر بعدها بثلاث سنوات، وأتمنى أن لا يكون هذا مصيرهم " [١] ، وقد أوردنا صورة المقال فى ملاحق هذا البحث.

والجديد فى هذا المقال أنه قام بتعريفنا بشخوص المهتمين بنشر الإلحاد، وإعادة إنتاج الكفر، وهم الماركسيون الذي حرموا فضيلة الحياء، وفى سياقنا هذا لا يمكننا كتمان مشاعر الأسى والأسف لوجود هؤلاء المارقين فى حضور واضح على الساحتين الثقافية والإعلامية، بل واحتلال بعض رموزهم لمقاعد قيادية فى كثير من المؤسسات الحكومية الفاعلة وخصوصا التابعة

(١) جريدة الأهرام: الثلاثاء ١٢ يونيو ٢٠٠٧م.

لوزارتى الثقافة والإعلام، فضلا عن صدور جريدتين تمثلان الاتجاه اليسارى المصرى وهما: الأهالى والبديل، بالإضافة إلى وجود نفر منهم فى الحقل الإعلامى وخصوصا فى الصحافة المستقلة، كما يوجد آخرون فى الصحف والمجلات القومية..

وبعد انتشار رائحة الإلحاد الكريهة وجدنا ضرورة العودة إلى البحث فى الجذور القريبة للموضوع، وهالنا ما توصلنا إليه من معلومات نكتفى بإيراد بعضها، ونسوق مثالين يعبران عن منهجين لتناول مشروع إسماعيل أدهم الإلحادى، وكلاهما تم نشره فى عام ٢٠٠٣م.

المثال الأول: عبارة عن مادة إذاعية تحت عنوان " انتحار ملحد" خاصة بإذاعة طريق الإسلام أضيفت لموقعها على الإنترنت بتاريخ ٤يناير ٢٠٠٣م، واللافت للنظر أن هذا البرنامج الذى تحول إلى مقال مقروء قد بلغ عدد قرائه ٣٧٩٢٢، وقد ساق صاحبه سليمان الخراشى عددا من الملحدين الذين أنهوا حياتهم بالانتحار، جعل فى صدارتهم هذا المسخ الشائه الذى نحن بصدد الحديث عنه نلتقط منه هذه السطور:

"تأثر إسماعيل أدهم بالمد الشيوعى الإلحادى بسبب إدمانه قراءة إنتاج القوم حتى علقت أفكارهم بعقله، وتمكنت من قلبه، فألف رسالة سماها: "لماذا أنا ملحد؟" [١] ".

وبعد أن قام معد البرنامج/ المقال بإيراد بعض البيانات الشخصية عن ذلك الملحد، وآراء علماء عصره فيه عقب على ذلك كله بفقرة إرشادية تتناسب مع البرامج الإذاعية يقول فيها عنه:" اختار الكفر على الإيمان، وتدرج فى مهاوى الضلال إلى أن وصل إلى آخر دركاته وهى الإلحاد – والعياذ بالله– لتكون خاتمته فى تلكم الجثة الطافية على مياه البحر آية لمن خلفه من شباب الإسلام النابهين أن لا يغتروا بذكائهم ومواهبهم، فيخوضوا ذات اليمين وذات الشمال معرضين أنفسهم للفتن والانسلاخ من الدين، إما بإدمانهم العكوف على كتب أهل الضلال والحيرة والشك، أو بمصاحبتهم وألفتهم بمن يشككهم فى دينهم، ويهون عليهم الطعن فيه، أو التحرر من بعض شرائعه..

(١) نقلا عن موقع: http://www.islamway.com.

وإسماعيل أدهم مجرد أنموذج سقته للاعتبار بحاله حيث ارتد على دبره بعدما جاءه الهدى، واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير "[١].

المثال الثانى: عبارة عن محاضرة ألقاها الدكتور قدرى محمود حفنى تحت عنوان:" فى مهب رياح الثورة والهزيمة والبترول" ضمن ندوة "جدلية الذات والآخر فى الثقافة العربية " فى ١٠ أبريل ٢٠٠٣م بكلية الآداب جامعة عين شمس.

وقد ساق الدكتور فى محاضرته بعض المشاهد الدالة على الاختلاف الفكرى وليس الاختلاف الذى يأخذ منحى عرقيا أو جنسيا أو دينيا...إلخ، وقد اختار إسماعيل أدهم ليمثل المشهد الأول، وبعد أن عرض لتجربته الإلحادية بإيجاز ختمه بإبراز حرص محمد فريد وجدى على وصف ذلك الملحد بلقب " حضرة الدكتور"، ثم عقب على ذلك المشهد بقوله:" ها نحن إزاء من يعلن عن إلحاده فى مقال منشور يحمل اسمه دون مواربة، بل ويحاول تعميم دعوته بأن يحول مقاله إلى كتيب منشور، فإذا بمجلة الأزهر ترد عليه مفندة آراءه، مخاطبة إياه بلقبه العلمى مسبوقا بكلمة "حضرة الدكتور".

ويبدو أنه لم يرد فى ذهن أحد من مثقفى الأمس فكرة اللجوء إلى السلطة والمطالبة على الأقل بحرمان إسماعيل أدهم من الكتابة أو إغلاق الجريدة التى نشرت له، بل لقد ظل إسماعيل أدهم حيا إلى أن انتحر "[٢].

وهذا يذكرنا بمنطق التباكى على المناخ السابق الذى أشرنا إليه فيما سبق عند د.عصفور، وغيره بدليل اختياره لنماذج أخرى مثل: نصر حامد أبو زيد، وحيدر حيدر، وفرج فودة، وغيرهم.

وتمضى الأيام ويأتى عام ٢٠٠٦م حاملا معه ضراوة رياح التطاول على الدين ورموزه، والتصريح بالتباكى على حرية القرن السابق، ففى مقال منشور بموقع حركة " كفاية" يعزف نفس النغمة النشاز التى مضمونها الانبهار بنشر كراسة الإلحاد، ولكن صاحب هذا المقال جهول؛ حيث اعتبر نشر تلك الكراسة فى عقد الأربعينيات، وهذا خطأ

[١] الموقع السابق: نفسه.

[٢] نقلا عن موقع: http://www.arabpsy.net.com.

يضاف إليه خطأ ثان وهو نسبة بحث "لماذا أنا مؤمن؟" لمحمد فريد وجدى فى حين أنه لأحمد زكى أبو شادى، وخطأ ثالث وهو نسبة بحث " لماذا هو ملحد؟" لأبى شادى بينما هو لوجدى، ولا يعنينا ذلك بقدر ما تصدمنا وقاحته فى تصدير مقاله بالهجوم على الأزهر الشريف الذى قال عنه: "الأزهر يؤكد عمليا وجود ما يمكن أن يسمى بالكهنوت الدينى الإسلامى، وإن كان لا يستطيع الاعتراف بذلك صراحة، بل ويعلن أن وجود مثل هذا الكهنوت لا يستطيع الاعتراف بذلك صراحة بل ويعلن أن وجود مثل هذا الكهنوت مناف لطبيعة الإسلام، وأنه أمر خاص بالتفكير الكنسى فى العصور الوسطى.

لكن هناك فرقا بين ما يقال وما تتم ممارسته على أرض الواقع؛ لأنه لو كانت هناك قناعة حقيقية من جانبهم بما يقولون فكيف نفسر هذا التاريخ الطويل من المصادرات والتكفير وإثارة الناس ضد الكتاب والمفكرين باسم الدين، والتشهير بهم على المنابر، وهو مناخ يمهد تلقائيا إلى قتلهم كما حدث، وكما نتوقع أن يحدث إذا ما استمرت هذه الحملات غير المسئولة من التكفير والتشهير"[١].

تذكرنا هذه الاتهامات التى ساقها هذا الكاتب الحقود ضد الأزهر الشريف بما يتنادى به أولئك الذين فى قلوبهم مرض بين الحين والحين، ولعل أحد روادهم فى هذا كان من مشاهير الأدباء وهو توفيق الحكيم الذى كتب قائلا: " وقد آن الأوان لنواجه الأمر فى صراحة فيما يتعلق بتدخل الأزهر المتكرر فى شئون الدولة الفكرية، وأن نتدبر من الآن الخطر الذى يهدد حرية الكتابة، وخطر التأليف ونهضة العلوم إذا سيطر على الحياة الفكرية فى هذا البلد العصرى بمثل هذه الروح، فالمعروف عن ظلام القرون الوسطى أن الكنيسة كانت هى التى تتحكم فى عقول المفكرين مما أدى إلى شل حركة العلوم والفنون"[٢].

ولا يمل أنصار هذا التيار المعادى للأزهر من الربط بين الإسلام

[١] نقلا عن موقع: http://www.Kefaya.org.

[٢] د. محمد رجب البيومى: الأزهر وحرية الفكر ص١١٤٤ مقال بمجلة الأزهر يونيو ١٩٧٩م نقلا عن: وثائق من كواليس الأدباء لتوفيق الحكيم ص١٢٠.

والنصرانية، والمقاربة بين الأزهر والكنيسة دونما يعتمد ذلك الربط وتلك المقاربة على أسانيد علمية أو دينية أو تاريخية، وقد تأكد بطلان هذا الخلط المتعمد بين الأوراق من خلال الطرح الإسلامى ذاته للقضايا المرتبطة بالعلم وطلبه والحض عليه، والتفكير عموما، وإعمال العقل وتوظيفه، وعدم إهدار طاقته بأى شكل من الأشكال، وعدم تعطيله بأية صورة من الصور، ونصوص الإسلام ذاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تؤكد صدق هذا الرأى[1]، بالإضافة إلى امتلاء أرفف المكتبات بمئات الدراسات التى تعطى المصداقية لما نقول، ولكن ما حيلتنا إزاء هؤلاء الكتاب الذين تمتلئ بهم ساحات ومنابر توجيه الرأى العام الذين يصرون على عنادهم وعدائهم للأزهر، والجماعات الإسلامية، مع دوام التحذير من الدولة الدينية، وأقرب الأمثلة الدالة على ذلك ما نشرته جريدة الأهرام الآن أثناء كتابة هذه السطور لأحد كبار كتابها فى مقاله بصفحة قضايا وآراء تحت عنوان " التطرف الأيديولوجى ومخاطر الدولة الدينية" قال فيه:

" التطرف – أيا كانت نوعيته– هو المقدمة الضرورية للسلوك الإرهابى، وذلك على أساس أن العقل الدينى التقليدى الذى عادة ما يفرز التطرف الأيديولوجى هو المرحلة الأساسية فى بناء العقل الإرهابى.

والعقل الإرهابى تبدو خطورته فى أنه يبيح لأنصاره تأويل النصوص الدينية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية لكى تتفق مع أهداف الجماعات الإرهابية، وهذه الأهداف تتمثل فى هدف أسمى وهو الانقلاب على الدولة العربية المعاصرة، وإنشاء دولة دينية على أنقاضها، بالإضافة إلى الهيمنة على المجتمع من خلال تشكيل فرق خاصة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقوم على قمع الجماهير، وإجبارها على تطبيق ما تراه من سلوكيات تتفق مع رؤيتها للعالم التى تتسم بالتشدد والانغلاق والرجعية.

إن الفارق الجوهرى بين الدولة الدينية والدولة المدنية أن الأولى تقوم على الفتوى التى يصدرها رجال الدين،

(1) انظر لكاتب هذه السطور: اهتمام الخطاب القرآنى بقوى الإدراك الإنسانى وأثره فى الفكر الإسلامى بحث منشور بحولية كلية أصول الدين/ القاهرة/ العدد الثانى عشر، سنة ١٩٩٥م.

وأن الثانية تقوم على التشريع تحت رقابة الرأى العام.

والدولة المدنية هى فى الواقع الدولة الحديثة التى شهدتها المجتمعات المتقدمة، والتى تم تأسيسها فى ضوء موجات الحداثة الأوروبية أساسا.

وهذه الحداثة كان لها شعار شهير هو " أن العقل محك الحكم على الأشياء" بعبارة أخرى: إن النص الدينى المسيحى أزيح من مكانه المركزى بعد قيام أوروبا بثورتها الثقافية ضد الكنيسة نتيجة لتعسفها وسيطرتها الرجعية على مجمل الفضاء العام، وتمت هذه التحولات الكبرى تطبيقا لمبدأ العلمانية" [1].

ولن نكلف أنفسنا مشقة الرد على هذه الرؤية القاصرة بيد أن لنا بعض الملاحظات عليها نجملها فيما يلى:

أولا: حساسية هذا الكاتب من التدين التى تبدو من خلال نظرته لما أسماه " العقل الدينى التقليدى"، وهو يفرز التطرف الأيديولوجى الذى يشكل الأساس لبناء العقل الإرهابى على حد تعبيره.

ثانيا: اتهامه للعقل الإرهابى – حسب وصفه– بتأويل النصوص الدينية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية لكى تتفق مع أهداف الجماعات الإرهابية، وهو هنا ساوى بين جميع الإسلاميين، ولم يستثن منهم أحدا، بدليل انطلاقه من توجيه النقد للعقل الدينى التقليدى وهو سبب المصائب كما يرى، فإذا كان هذا ما يراه فى هذا العقل فما هو العقل الدينى غير التقليدى؟، وأين هو؟ ومن هم ممثلوه؟، وإذا وجدوا هل سيوافقهم على تدينهم؟ أشك فى ذلك.

ثالثا: الصراخ والضجيج خوفا من الانقلاب على الدولة الحديثة وإنشاء الدولة الدينية على أنقاضها، والتحذير من الهيمنة على المجتمع من الفرق الخاصة التى تقوم على قمع الجماهير... إلى آخر هذه الإطلاقات التى نشم منها رائحة كريهة!!

رابعا: التذكير بما حدث فى أوروبا من إقصاء الدين عن كل أوجه الحياة فيما عدا الدور الباهت الذى تقلص فى جانب العبادة فقط من خلال إزاحة النص الدينى المسيحى من مكانه المركزى – حسب تعبيره– فهل هذا ما يريده للنص الدينى الإسلامى؟، إنه بعقده

(1) جريدة الأهرام: الخميس ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٧م.

هذه المماثلة غير الصادقة لا يمثل ذاته بقدر ما يمثل تيارا فاعلا فى الساحة الثقافية المصرية، ألم يطالب نصر حامد أبو زيد وهو الأكاديمي المتخصص بالتحرر من سلطة النصوص حيث يقول بالحرف الواحد:" وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لامن سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعيق مسيرة الإنسان فى عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورا قبل أن يجرفنا الطوفان"[١].

خامسا: زعمه بأن الدولة الدينية تقوم على الفتوى التى يصدرها رجال الدين وهذا جهل فاضح لأن الدولة تعتمد الشريعة الإسلامية مصدرا للتشريع، وهى تستمد مرجعيتها من القرآن الكريم والحديث الشريف وليس من فتاوى العلماء.

سادسا: ميل هذا الكتاب صراحة إلى اختيار العلمانية التى يزينها للقراء بأنها ليست فصل الدين عن المجتمع بل فصل الدين عن الدولة، فهل نفهم من هذا قبوله للحضور الدينى فى المجتمع بينما يستنكر حضوره فى الدولة؟، وهل يريدها دولة بغير دين؟!، وهل رجال الدولة ينتمون لعالم آخر غير المجتمع الذى هم جزء منه؟ ولعلنا ما زلنا نذكر أن العلمانية كانت من أهداف موقع " الملحدون العرب"!!

ولا نريد أن يخرجنا الاستطراد لمناقشة هذه الأفكار البالية التى تتسرب بين الحين والحين بزى جديد لسهولة تسويقها والترويج لها فى مجتمع متدين لن تنطلى عليه الألاعيب الحواة!! والذى نود التأكيد عليه الآن فيما يشبه العناوين دون الدخول فى التفاصيل هو ضرورة التفرقة بين الإسلام والنصرانية وخصوصا فى القضايا التى تهتم بالعلم والمدنية مثلما صنع الإمام محمد عبده الذى نختاره نموذجا فى سياقنا هذا، ومن ناحية أخرى ضرورة التفرقة بين الكنيسة والأزهر لا سيما فيما يخص حرية الفكر، فإذا كان الحجر على الفكر مطلبا من مطالب الكنيسة خاصة فى العصور الوسطى باعتراف أتباعها أنفسهم فإن الأمر على العكس من ذلك تماما

(١) د. محمد بن سعيد السرجاني: الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم فى تفسير القرآن الكريم ص ١٥٧. نقلا عن: الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص١٤٦ لنصر حامد أبو زيد بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، سبتمبر ٢٠٠٧م.

بالنسبة للأزهر الشريف وتحت يدى عشرات الشهادات صادرة عن حكام دول عربية وإسلامية وعلى رأسهم رئيسنا محمد حسنى مبارك، ورؤساء حكومات، ووزراء، وعلماء من كل أقطار الأرض، ومنهم غير المسلمين كلها تقر للأزهر بكل الفضل فى حراسة الإسلام، والدفاع عنه، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، من خلال منهج وسطى أجمع على الاعتراف به خصومه قبل أنصاره اللهم باستثناء البعض ممن فى قلوبهم مرض، ولن نستطيع فى مقامنا هذا الإكثار من الاقتباس من هذه الشهادات بل نكتفى بنموذج واحد يدل على صدق تحليلنا، وهو ما قاله الإمام المراغي:" إن الناس فى مصر يخشون خطر الأزهر على الحياة العامة فهم يقولون: إن الأزهر إذا قوى واشتدت عزيمته يدخل فى الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة إذ يحظر حرية الفكر، ويقف حجر عثرة فى طريق الأفكار العلمية الحرة.

أما الحياة الفكرية فلا أظن بحال أن الأزهر خطر عليها؛ لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء، ومن الأئمة الذين كان عندهم من سعة الصدر ما احتمل هذه المذاهب المتعددة التى نقرؤها فى علم الكلام، وقد حمى الإسلام أديانا تخالفه، وحمى علماء الإسلام مذاهب غير صحيحة، واجتهدوا أن يردوا عليها بالدليل، فليس الأزهر من المعاهد التى تكره حرية الرأى، ولكن الأزهر يكره شيئا واحدا هو تعمد الاستهزاء بالدين، وتعمد الاستهزاء بأئمة المسلمين، يكره هذا، ويكره أن يشكك العامة فى دينهم، وأن يشكك النشء فى عقائدهم.

أما الآراء العلمية فى حدود العلم ودائرته فإنها تدرس فى المعاهد الكبرى دون أن يخطر للأزهر بب[illegible] يقاومها"[١].

وما أشبه الليلة بالبارحة فلقد وقع ما حذر الإمام المراغى من حدوثه منذ أكثر من ستة عقود من الاستهزاء بالدين، وأئمة المسلمين، وتشكيك العامة والناشئة فى عقائدهم، وهو ما نجد له حضورا واضحا محليا وعالميا.

أليس الترويج للكفر وإعادة إنتاج الإلحاد والتبشير به مما يشكل قمة الاستهزاء بالدين الإسلامى بالذات،

(١) الأزهر وحرية الفكر ص١١٤٨، ١١٤٩ نقلا عن مجلة الرسالة، نوفمبر ١٩٤٧م.

وهو ما يدور على الساحة الفكرية المعاصرة من خلال هؤلاء المارقين الذين يخرجون على الناس خلف أقنعة عديدة، فتارة خلف قناع البهائية، وأخرى خلف قناع الماركسية، وثالثة خلف قناع العلمانية، ورابعة خلف قناع الليبرالية. ..إلى أخر هذه الأقنعة التى يجمعها رباط غير مقدس، وهو العداء للدين، وخصوصا الإسلام.

وفى هذا السياق نستأنس بوجهة نظر الدكتور محمد عمارة فى قوله: " لقد رأينا أغلب الذين ضلوا عن سبيل الله فألحدوا فى الواقع الإسلامى المعاصر أكثر الناس جهلا بالإسلام، ورأينا صفوفهم قد خلت من أهل الفكر والاجتهاد والتأمل والنظر الفلسفى، فكان إلحاد "المثقفين" منهم "تقليدا" لمفكرى الغرب الذين تتلمذوا عليهم دون غيرهم عندما رأوا الإسلام وكأنه المسيحية الغربية كما رآها أئمتهم وأسلافهم الغربيون، يستوى فى ذلك " الليبراليون"، " والشموليون" من هؤلاء الماديين الملحدين!، أما إلحاد " عامتهم" من أشباه المتعلمين وأنصاف المثقفين فهو إلحاد "تقليد" أو " مجون" و "تحلل من التكاليف" قلدوا فيه " مثقفيهم"...

فلا الإسلام بمقيم أمام العقل عقبة تبرر الإلحاد، ولا الذين ألحدوا قد خبروه حتى تكون لهم حجة فى استعارة هذه الأمة الغربية إلى عالم الإسلام والمسلمين"[1].

ونختم هذا المبحث باقتباس عن الشيخ محمد الغزالى يقول فيه تحت عنوان : "لا مكان للإلحاد بيننا"، وكأنه يقصد هؤلاء النلس الذين روجوا للكفر، وأعادوا إنتاجه ونشره، وهيأوا المناخ لظهوره، ومهدوا التربة لاستنبات بذرته الخبيثة:" ما هؤلاء الناس؟...

إنهم مسخ غريب الأطوار، صفيق الصياح، بليت به هذه البلاد إثر ما صنعه الاستعمار بها، وترك بذرة فى مشاعرها وأفكارها.

فهم – كما جاء فى الحديث- من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا.

بيد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا، وعبء على كفاحنا ونهضتنا، وعون للحاقدين على ديننا، والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة، وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ

[1] الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ص ٣٤.

الضفادع بنقيقها أكناف الليل يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم، وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع، ولا ينطلى لهم زور"[1].

٢١- وهذا ما نحاوله فى بحثنا هذا ذودا عن ديننا، ودفاعا عن عقيدتنا، ضد هؤلاء المارقين أعداء الوطن والدين، وبالله نستعين.

[1] مع الله: دراسات فى الدعوة والدعاة ص٢٣٨.

المبحث الثانى

إسماعيل أدهم: ملامح شخصيته وأضواء على تجربته

١- أدهم بين حديث المراجع عنه وحديثه عن نفسه:

لم يتيسر لنا – للأسف- من المصادر العدد الكافى الذى يتيح لنا إمكانية التعرف على ملامح إسماعيل أدهم الشخصية، وقد كانت هذه إحدى الصعوبات الواضحة التى اعترضت خط سير هذا البحث، بيد أننا عثرنا على ترجمة موجزة له فى كتاب الأعلام يمكننا توظيفها بالإضافة إلى ما كتبه عن جوانب من حياته الشخصية فى رسالة "لماذا أنا ملحد؟"، واستخدامها فى تكوين صورة أقرب ما تكون إلى الواقع ولنبدأ بما ورد فى الأعلام، ونقتبس هذه الفقرة التى جاء فيها: "إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا أدهم: عارف بالرياضيات، له اشتغال بالتاريخ، شعوبى، تركى الأصل، أمه ألمانية، كان أبوه ضابطا فى الجيش التركى، وجدّه معلما للغة التركية فى جامعة برلين، وجد أبيه مدير ديوان المدارس المصرية فى عهد محمد على.

ولد إسماعيل بالإسكندرية، وتعلم بها وبالآستانة، ثم أحرز " الدكتوراه" فى العلوم من جامعة موسكو سنة ١٩٣١م [١] ، وعين مدرسا للرياضيات فى جامعة سان بطرسبرج، وانتخب عضوا أجنبيا فى أكاديمية العلوم السوفيتية، وعهدت إليه جامعة فريبورج بالإشراف على طبع كتاب المستشرق سبرنجر عن حياة محمد ﷺ، وانتخب وكيلا للمعهد الروسى للدراسات الإسلامية، وانتقل إلى تركيا فكان مدرسا للرياضيات فى معهد أتاتورك بأنقرة...، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦م فنشر رسالة بالعربية " من مصادر التاريخ الإسلامى" صادرتها الحكومة، و"الزهاوى الشاعر"، وكتابا وضعه فى " الإلحاد"... وأصيب بالسل فتعجل الموت، فأغرق نفسه بالإسكندرية منتحرا" [٢] .

ورغم اقتضاب هذه العبارة إلا أنها مليئة بالحقائق ذات الدلالة فى تكوين صورته، والتعرف على ملامح شخصيته من خلال تدرجه فى الوظائف، وتقلبه فى البيئات المتعددة، مع محاولة استنباط الخيوط الرفيعة الرابطة بين هذه البيانات وبين اتخاذ قرار الإلحاد، ونستطيع التركيز على ما يلى:

١- انتخابه عضوا أجنبيا فى أكاديمية العلوم السوفيتية، ثم انتخابه وكيلا للمعهد الروسى للدراسات الإسلامية، كما عهدت إليه إحدى الجامعات السوفيتية بالإشراف على كتاب عن حياة الرسول ﷺ، فإذا لاحظنا أن عمره عند حصوله على الدكتوراه كان اثنين وعشرين عاما فقط استطعنا التعرف على علل اختياره لعضوية هذه الأكاديمية، ووكالته لذلك المعهد، بجوار الأعمال الأخرى؛ ونستطيع استنتاج أن هذه الهيئات كانت تعد إسماعيل أدهم إعدادا خاصا لحمل لواء الإلحاد ورفعه فى التوقيت المرسوم فى قلب العلم العربى والإسلامى النابض مصر المحروسة، فأية عبقرية تمتع بها هذا الشاب؟ سوى جاهزيته واستعداده للقيام بهذا الدور الشائن، ولدينا من القرائن ما يعطى مصداقية عليا لهذا الاستنباط.

(١) هذا التاريخ يخالف ما ذكره إسماعيل أدهم فى رسالة " لماذا أنا ملحد؟" حيث ذكر أنه حصل على درجتى دكتوراه فى عام ١٩٣٣م، وليس عام ١٩٣١م كما ورد فى الأعلام.

(٢) الزركلى: الأعلام ١/٣١٠.

٢- لم يشر الزركلى إلى إلحاده الشخصى، ولم يتطرق إلى عقيدته الذاتية، بل اكتفى بالإشارة إلى كتاب وضعه فى الإلحاد، وهذا كلام تنقصه الدقة، ولا نريد اتهام الزركلى فى أمانته، وختام الترجمة يحتم علينا وضع علامات استفهام جديدة عن الربط بين حالته المرضية وبين اتخاذه قرار الانتحار بما يجعل القارئ يربط بين مرضه وبين انتحاره، يقول الزركلى: "وأصيب بالسل فتعجل الموت...إلخ" والحقيقة غير هذا، فكم من المرضى عاش صابرا على مرضه إلى أن وافته منيته، والواقع أنه انتحر لزهده فى الحياة وكراهيته لها وهذه بعض سمات الملحدين، وستعرف فيما يلى من الفقرات على تفصيل أوفى عن هذه الأمور وخصوصا فى الفقرة الأخيرة من هذا المبحث.

٣- نعود إلى الملاحظة الأولى حول تدرجه فى المناصب فى الاتحاد السوفييتى بعد حصوله على الدكتوراه من جامعة موسكو، لنعلم أن ذلك البلد البعيد كان وما يزال معقل الإلحاد فى العالم، ومن البدهى معاداة الشيوعية للأديان وخصوصا الإسلام ومن المعلوم استحالة المصالحة أو التعايش فيما بينهما، وقد كان لذلك أعظم الأثر فى نزوعه نحو الإلحاد.

٤- انتقاله إلى تركيا وقد كان ذلك فى الفترة المنحصرة بين عامى ١٩٣٣م وبين عودته إلى مصر ١٩٣٦م، بيد أن هناك إشارة أخرى صادرة عن إسماعيل أدهم نفسه تفيد أنه زار تركيا قبل هذا التاريخ، وعاش فيها من عام ١٩١٩م حتى عام ١٩٢٣م، كما تعرفنا على إشارة ثالثة تنص على اعترافه بمغادرة مصر سنة ١٩٢٧م متوجها إلى تركيا حيث أقام فيها ثلاث سنوات أسس فيها جماعة لنشر الإلحاد، وقد قام أعضاؤها بالاتصال بجمعية نشر الإلحاد الأمريكية، وما لبثوا أن انضموا إليها وغيروا اسمها إلى " المجمع الشرقى لنشر الإلحاد" [١].

وبتأمل هذه التواريخ نستطيع الحكم بأنه بدأ رحلته مع الإلحاد فى منتصف العقد الثانى من عمره، ولا نستطيع إغفال ما كان عليه المناخ التركى فى هذا التوقيت الذى كان يساعد على التحرر من الدين، والانسلاخ من العقيدة.

(١) إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد، كراسة منشورة بالموقع: http://www.ladeeni.net

ونحن فى سياقنا هذا نعلن اهتمامنا بإعلان موقفه الرافض للإيمان والذى تجلى فى مشهدين:

الأول: إعلانه عن تكوين جماعة نشر الإلحاد بتركيا، وذلك قبل سفره إلى موسكو.

الثانى: اعترافه بخروجه عن الأديان، وتخليه عن كل المعتقدات، وإيمانه بالعلم وحده وبالمنطق العلمى، وقد جاء هذا الاعتراف بعد سفره إلى موسكو وحصوله على درجتى الدكتوراه فى عام ١٩٣٣م.

علما بأننا لا نستطيع عزل هذين المشهدين عن نوازع الإلحاد المتجذرة داخل نفسه منذ طفولته، والتى كانت لها تجلياتها الواضحة المتمثلة فى إعلان سخطه على القرآن الكريم رغم زعمه بأنه أتمه حفظا وتجويدا وهو فى سن العاشرة، وتمرده على ممارسة الشعائر الإسلامية من صلاة وصيام التى كان يجبر على القيام بها مما جعله يعترف بأن هذه الأمور كانت من أسباب التمهيد لثورة نفسية على الإسلام وتعاليمه [١].

وربما يكون مرد هذه الثورة النفسية ضد الإسلام هو ذلك التمزق الذى ران على حياته فيما بين الخضوع لزوج عمته المكلف من قبل والده لإجباره على القيام بممارسة التعاليم الإسلامية، والانصياع لشقيقته – بعد وفاة أمه – اللتين كانتا تصطحبانه إلى الكنيسة كل يوم أحد، وتقومان بتلقينه تعاليم المسيحية، وفيما يبدو أنهما كانتا غير صادقتين فى صنيعهما هذا معه، بل لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا حكمنا بضعف إيمانهما؛ لأنهما على حد تعبيره " لا تثقلان عليه بالتعليم الدينى المسيحى، بل لقد درجتا على اعتبار أن كل ما تحتويه التوراة والإنجيل ليس صحيحا، وكانتا تسخران من المعجزات ويوم القيامة والحساب؛ وكان لهذا كله أثر فى نفسيتى " [٢]، فأختاه إذن كانتا ضمن العوامل المساعدة على تهوين أمر الدين لديه.

ويبدو لنا من خلال اعترافاته فى صدر رسالته الإلحادية أنه كان ذا قدرات عقلية خاصة، ولم يكن طفلا عاديا حيث بدأ القراءة فى مكتبة والده منذ طفولته، وشرع فى تعلم عدة لغات أجنبية، وفى تطور لاحق بدأ قراءة

(١) لماذا أنا ملحد ص٣.

(٢) السابق: نفسه.

الكتب التى تؤدى إلى الإلحاد، وكانت قراءاته متنوعة تتراوح بين الأدب التركى والعالمى، وبين الفلسفة والعلوم البيولوجية والطبيعية حيث انتهى إلى الانسلاخ من الإيمان شيئا فشيئا.

بيد أن هناك أمرا فارقا فى حياته عندما أعلن الثورة على أبيه الذى فرض عليه الإسلام والقيام بشعائره فرضا، فامتنع عن الصلاة، وقال لأبيه بالحرف الواحد: " إنى لست بمؤمن، أنا داروني أؤمن بالنشوء والارتقاء".

ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا الخلفية الإسلامية لهذا المرتد، والتى تجلت فى ديانة أبيه، ورغبته فى تنشئة ابنه الوحيد عليها للإفلات به من مصير شقيقتيه اللتين ورثتا النصرانية عن أمهما مما حدا بالوالد إلى المبالغة فى قهر ابنه على الإسلام، وتعلمه، وممارسة شعائره منذ طفولته الباكرة التى أكمل فيها حفظ القرآن الكريم وتجويده وهو فى العاشرة من عمره، وقد أدى ذلك إلى نتائج عكسية بدأت بسخطه على القرآن الكريم على حد تعبيره ثم بامتناعه عن الصلاة، وانتهاء بكفره الصريح، والمجاهرة به، وإعلان الارتياح إليه.

٣- البيئات التى تقلب فيها وآثارها على اتجاهه الإلحادى:

تعرفنا فى الفقرة السابقة إجمالا على بعض البيئات التى تقلب فيها، حيث تعددت هذه البيئات بانتقاله بينها، ومن أشهرها مصر، وتركيا، وروسيا، مصر التى شهدت بدايته بالميلاد ونهايته بالانتحار، وكانت شاهدة على جهره بالكفر بنشر كراسته الإلحادية فى خواتيم حياته، وتركيا التى عاش فيها فترات متقطعة من حياته كون فى إحداها جماعة لنشر الإلحاد، والاتحاد السوفييتى الذى حصل فى عاصمته على أعلى الشهادات العلمية كما عرفنا فيما سبق.

بالنسبة لمصر رغم فخرنا بتدين شعبها منذ فجر التاريخ [١] إلا أننا لا

(١) انظر حول تدين مصر منذ فجر التاريخ:

– ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان، ترجمة عبد المنعم ابو بكر، ود. محمد أنور شكرى.

– الدين: الدكتور محمد عبد الله دراز.

– فجر الضمير: جيمس هنرى برستيد، ترجمة د. سليم حسن.

– الإسلام السياسى فى مصر: الدكتورة هالة مصطفى.

– مصر عرفت التوحيد من قبل إخناتون: الدكتور محمد رجب البيومى، مقال بمجلة الأزهر سبتمبر ٢٠٠٢م.

يكن إلا أن نبدى أسفنا للمناخ الذى أفرز هذا المرتد، ولم يحاسبه على ردته، وقد علمنا فى الفقرة السابقة أنه لم يكن مصريا، وأن إقامته فى مصر كانت عارضة ولم تكن تتسم بالاستقرار، فما كان أيسر أن يلفظ لفظ النواة إلا أنه لم يجد غيوراً على الإسلام يحيله إلى المحاكمة، ولا قيمة عندى – الآن – لردود الأفعال التى ستثار ضد وجهة نظرى هذه، بل إننى حزين لفرط أدب الذين احترموا هذا المرتد الذى لم يكن يستحق الاحترام، واللغة التى تحدثوا عنه بها لم تكن فى محلها على الإطلاق، وإننا لا نجد حرجا، ولا نخشى بأسا من الحديث عنه بما يستحقه من أوصاف الردة والإلحاد والمروق من الدين، يقول إمامنا الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود:" ... إن من أقدس مقدسات الأمة الإسلامية عقيدتها.

فلنرجع بها إلى جو الفطرة الطاهرة، والشعور الصافى، والبداهة الواضحة وإذا "شذ" عن ذلك "شاذ" فليكن فى " القانون" ما يمكن " القضاء من "ردعه"!![1] ، وهذا ما كنا نتمناه للتعامل مع هذا " الشاذ" وأمثاله من المارقين من الدين.

أما تركيا وهى المحطة الثانية فى حياة " حضرة الدكتور المرتد"، فقد زارها فى طفولته وعاش فيها فترات متقطعة من حياته كانت كما ذكرنا قد انخلعت من محيطها الإسلامى، بتبنيها الخط العلمانى على يد الطاغية مصطفى كمال أتاتورك، فانهارت الخلافة، وحورب الإسلام والمسلمون، ولا مجال لتفصيل القول فى ذلك، ولكن النتيجة المستخلصة من هذا التغير الجذرى فى التاريخ التركى أنه كان يساعد على المجاهرة بالكفر، بل ويتيح تكوين جماعة لنشر الإلحاد على يد حضرة المارق إسماعيل أدهم!!!.

أما الاتحاد السوفييتى الذى كان المحطة الثالثة فى حياته فقد كان بمثابة عامل من عوامل تثبيت الإلحاد داخل صدره؛ لأن كل مظاهر الحياة داخل الاتحاد السوفييتى كانت تعادى الدين، وتحارب غريزة التدين، بل كانت هناك مدارس ومعاهد ومطبوعات للإلحاد، وبين أيدينا تجربة شاهد على ذلك العصر، عاش هو الآخر فى الاتحاد السوفييتى ، ورصد ما فيه من مظاهر إلحادية واضحة، وهو الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، ونلتقط سطورا من

(1) د. عبد الحليم محمود: الإسلام والعقل ص١٠٤.

شهادته، حيث يقول: " إن القول بأن " الدين أفيون الشعوب" ليس قولا مغرضا نسبه أعداء الماركسية إلى ماركس، بل هو قول صحيح النسبة إليه، ويقول مؤلفو كتاب " الإلحاد: تاريخه ونظريته" الصادر فى موسكو عام ١٩٧٤م: " إن قول ماركس بأن الدين أفيون الشعوب يحدد جوهر موقف الأحزاب البروليتارية بالنسبة لقضية الدين"، وهذا القول الواضح ينفى بذاته أى دعوى لتغير موقف الماركسية من الدين.

وقد أكد ماركس على أن "أى دين ما هو إلا انعكاس زائف فى أدمغة الناس للقوى الخارجية المتحكمة فى حياتهم اليومية، وأنه انعكاس تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى غير أرضية".

ويلخص كراسيكوف – من وجهة نظره– خطر الدين على المجتمع السوفييتى فيقول :"إننا مع تحطيمنا لاستغلال الإنسان للإنسان فى الاتحاد السوفييتى وهو الجذر الأصيل للدين فى المجتمع الطبقى نجد أن بقايا التدين فى وعى الكادحين تقوم بدور هائل فى عرقلة تطور مجتمعنا الشيوعى "[1] .

ونواصل الاستماع إلى شهادة الدكتور مصلوح المدعومة باستنتاجاته المهمة ومنها قوله عن الدستور السوفييتى: إنه " يقوم على فصل الدين عن الدولة، وقد يحتج هنا بأن علمانية الدولة مبدأ معترف به فى معظم بلدان العالم الرأسمالى والعالم الثالث، وأن الاتحاد السوفييتى ليس بدعا من الدول فى هذا الشأن.

غير أننا نرى أن ثمة فرقا كبيرا بين فصل الدين عن الدولة على أساس مبدأ علمانية الدولة وبين الفصل على أساس مبدأ إلحادية الدولة.

فالدول الغربية العلمانية لا تحارب المسيحية؛ وهذا فإن الخطر على الدين فى البلدان الشيوعية حيث يقوم الفصل بين

(1) د. سعد عبد العزيز مصلوح: المسلمون بين المطرقة والسندان ص ٣٩، ٤٠ نقلا عن مراجعه الروسية.

انظر مزيدا من التفاصيل فى:

– إفلاس الفكر الماركسى: محمد عبد الفضيل القوصى.
– سقوط الحلم الشيوعى: عبد الستار الطويلة.
– تجربتى مع الماركسية: طارق حجى.
– أكذوبة اليسار الإسلامى: الدكتور مصطفى محمود.
– أبو ذر الغفارى و الشيوعية: الدكتور عبد الحليم محمود.
– المعبود الذى هوى (آراء فى الشيوعية) مجموعة من الكتاب.
– نهاية الشيوعية: مجموعة من الكتاب: ترجمة وائل غالى.

الدين والدولة على أساس إلحادى هو أبعد أثرا وأعمق غورا.[1]"

وشهادة الدكتور كلها فى غاية الأهمية، وليتنا نستطيع اقتباس فقرات مطولة منها ولكن المقام لا يساعدنا على ذلك؛ ولهذا سنقوم باختيار ما نحتاجه منها للدلالة على المناخ العام الذى كان يسود هذا البلد الذى حصل منه هذا المرتد على أعلى الشهادات.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن إسماعيل أدهم حاول تبرير اختياره لموقفه الإلحادى بإسناده إلى قاعدة علمية، وربما يكون ذلك أثرا من آثار إقامته فى الاتحاد السوفيتى والدراسة الخاضعة للمناهج الشيوعية التى تؤدى حتما إلى الإلحاد حيث " ترى الماركسية أن النظرة العلمية مادية إلحادية بالضرورة، وأن المزيد من العلم طريق موصل إلى نبذ الألوهية، والإيمان بسيطرة الإنسان على الكون، وإلى اكتشاف القوانين المتحكمة فى حركة ظواهر الطبيعة والمجتمع حيث لا مكان – فى زعمهم – لإرادة الله سبحانه.

وقد أدى ذلك عندهم إلى ضرورة دراسة جميع العلوم من منطلق إنكار وجود الله تعالى، ورفض التفسير الدينى لظواهر الطبيعة والمجتمع، ومحاولة إثبات بطلانه فى مواجهة حقائق العلم.

وبذلك أخذت علوم كثيرة مثل الجيولوجيا والفلك والكيمياء والطبيعة والأدب وغير ذلك منحى إلحاديا صرفا فى دراستها وتدريسها بحيث أصبحت أداة لتمكين الإلحاد فى نفوس التلاميذ على مختلف المستويات والأعمار"[2].

بل إن الأمر تجاوز ذلك إلى إنشاء مؤسسات للإلحاد مثل: معهد الإلحاد العلمى بأكاديمية العلوم الاجتماعية، وقسم الإلحاد العلمى فى معهد جرتن للتربية، وإنشاء دور للطباعة تحت أسماء تعمل فى نفس الإطار مثل دار "الملحد" للنشر، ودار " الكافر" للنشر، وصحيفة "الكافر"، والمؤسف بل والمحزن أن الإسلام قد نال الجانب الأكبر من الهجوم عليه داخل هذه المنظومة الإلحادية الجائرة بالتجرؤ والافتراء عليه بزعم التناقض بين الإسلام وبين العلم والحضارة، وإثارة الشك فى إلهية النص القرآنى، واستخدام الفنون فى الهجوم على الإسلام والترويج للإلحاد، وقطع

(1) المسلمون بين المطرقة والسندان ص٤٩، ٥٠.

(2) السابق: ص٦٢، ٦٣.

الصلة بين الإسلام والأخلاق، وتقديم بدائل للجانب الاجتماعى من شعائر الإسلام.... إلى آخره[1].

وهذا ما أدى إلى ترسيخ الإلحاد داخل تكوين إسماعيل أدهم، وقد صرح هو بذلك فى قوله: " إنى خرجت عن الأديان وتخليت عن المعتقدات، وآمنت بالعلم وحده وبالمنطق العلمى...، وقد مكن ذلك الاعتقاد فى نفسى الأوساط الجامعية التى اتصلت بها"، ثم يسترسل قائلا..." أنا ملحد، ونفسى ساكنة لهذا الإلحاد ومرتاحة إليه، فأنا لا أفترق من هذه الناحية عن المؤمن المتصوف فى إيمانه.

نعم لقد كان إلحادى بداءة ذى بدء مجرد فكرة تساورنى ومع الزمن خضعت لها مشاعرى، فاستولت عليها، وانتهت من كونها فكرة إلى كونها عقيدة.[2]"

وإننى أرى أن تحول الإلحاد عنده وتطوره من فكرة إلى عقيدة قد تم فى المرحلة الزمنية الثالثة من عمره، وهى تلك التى قضاها فى الاتحاد السوفيتى.

٣- مفتاح شخصيته، وصفاته، وعلاقة ذلك بتحوله إلى الإلحاد:

سنتعرف فى هذه الفقرة على بعض صفاته، وعلاقتها بإلحاده، ومفتاح شخصيته الذى نلتقى به فى آخر هذه الفقرة، ونحاول من خلال هذه المعالجة الربط بين ما يمكننا استنباطه من هذه الصفات من خلال مطالعة الأسباب التى أعلنها للتبرير لإلحاده، حيث نطالع معا ما قاله بنصه: "إن الأسباب التى دعتنى للتخلى عن الإيمان بالله الكثير منها ما هو علمى بحت، ومنها ما هو فلسفى صرف، ومنها ما هو بين بين ، ومنها ما يرجع إلى بيئتى وظروفى، ومنها ما يرجع إلى أسباب سيكولوجية.

وليس من شأنى فى هذا البحث أن أستفيض فى ذكر هذه الأسباب، فقد شرعت منذ وقت أضع كتابا عن عقيدتى الدينية والفلسفية، ولكن غايتى هنا أن أكتفى بذكر السبب العلمى الذى دعانى للتخلى عن فكرة" الله" [3]".

ونلاحظ هنا أنه تحدث كثيرا بينما لم يقل شيئا مفيدا، اللهم إلا حديثه عما يسميه السبب العلمى الذى عبر به عن

(1) نفسه: صفحات متفرقة.

(2) لماذا أنا ملحد؟ ص٥.

(3) لماذا أنا ملحد ص٥.

موقفه الإلحادى، وهو ما سنحاول مسايرته فيه فيما يلى من صفحات هذا المبحث، ولكننا قبل الشروع فى ذلك نركز على أحد الأسباب التى ذكرها وهو ما يتعلق بالجانب النفسى، وهو ما أشار إليه باقتضاب فى قوله:" ومنها ما يرجع إلى أسباب سيكولوجية"، وإن كان هو لم يفصح عنها فإننا نحاول إلقاء الضوء عليها من خلال بعض الإشارات الواردة فى حديث من تناولوه بالذكر، فها هى الأستاذة صافى ناز كاظم تصفه "بالمخبول"، وها هو الأستاذ فتحى محمود يصفه بأنه " مضطرب نفسيا" كما ذكرنا فى المبحث السابق، كما يقول عنه الأستاذ رجاء النقاش: " المعروف عن " إسماعيل أدهم" أنه كان كثير الأوهام، وأن الغموض يملأ حياته الشخصية وحياته العلمية، وقد ادعى أنه حائز على شهادة الدكتوراه من روسيا، وأنه أستاذ فى الجامعات الروسية، وأنه عضو بالأكاديميات العلمية فى عدد من عواصم أوروبا، ويرى كثير من الباحثين أن هذه الدرجات والمناصب العلمية التى ادعاها لنفسه كانت أوهاما فى أوهام، وأنها جميعا لا أصل لها من الحقيقة، وأنه كان كاذبا "ونصابا" فيما نسبه إلى نفسه من ألقاب علمية مختلفة (١) ".

ولأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم الفيومى نظرة جديرة بالتسجيل للإنسان الذى اختار عدم الإيمان نقتبس منها هذه السطور التى تصلح للإشارة بها إلى موقف إسماعيل أدهم وفيها يقول:" ...فعدم الإيمان على المستوى النفسى: يؤدى إلى تشويش فى الرؤية نحو غد الآخرة، هذا من حيث مستوى الإنسان النفسى.

ومن ناحية عضويته فى الهيئة الاجتماعية: فهو مهدد بالطرد منها، وغير مشهود له بالعدالة، وقد تنادى بعض الهيئات الاجتماعية بحل دمه، فلا رفق ولا لين مع مريض الإيمان؛ لأن هذا المرض الذى يلم بصاحبه تنتشر عدواه فى المجتمع، وهو من الأمراض الخبيثة التى يرى المجتمع أنه يجب عليه مكافحتها، ويحجر على من فى قلوبهم زيغ مخافة الفتنة.

أما من حيث صلته بتراثه التاريخى: فهو بموقفه الرافض للإيمان يشق عصا طاعة تراثه، وتلك وصمات سياط قاسية

(١) رجاء النقاش: طه حسين فى قفص الاتهام، ص١٦١، مقال منشور بمجلة الهلال مايو ١٩٧٧م.

يتعرض لها من يزور عن الإيمان ويجهر بازوراره"(١).

ونستأنس فى سياقنا هذا بشهادة الشيخ محمد الغزالى التى يقول فيها:" إن غرور الجاحدين بما لديهم من ظاهر العلم لا يلقى لدى إلا الاحتقار والمقت، وما أعد منكرى الألوهية إلا أشباه دواب مهما كانت حصيلتهم من العلوم، ومكانتهم على هذا التراب.

وإذا كان الإلحاد عاهة تزرى بصاحبها على هذا النحو فكيف إذا كان صاحبها داعية لجهالته متحمسا لها (٢) ".

ثم يشخص الإلحاد من جديد فى سياق آخر بقوله:" الإلحاد يوجد على أنه عوج فكرى، أو خلل نفسى، أو انحراف فردى، أو جهل موقوت، أو غفلة عامة على أسوأ الأحوال" (٣).

وليس بعيدا عن هذه الصفات ما ارتآه الأستاذ العقاد فى الإنسان غير المؤمن بأنه إنسان "غيرطبيعى" فيما نحسه من حيرته واضطرابه ويأسه وانعزاله عن الكون الذى يعيش فيه، فهو الشذوذ وليس هو القاعدة فى الحياة الإنسانية، وفى الظواهر الطبيعية (٤).

فإذا عدنا من هذه الشهادات الصالحة للتطبيق على الملحدين بصفة عامة إلى الملحد الذى نتعامل معه الآن وجدنا أنه من السهولة بمكان تنزيلها عليه، والتعرف من خلالها على مفتاح شخصيته، وهو الغرور الذى ليس له ما يبرره سوى أوهامه التى سيطرت عليه، وظل طول عمره خاضعا لها، ولنقرأ ما كتبه عن نفسه فى معرض نقله عبارة لهنرى بوانكاريه عن الصدفة يقول فيها: "إن الصدفة تخص جهلنا بالأسباب، والركون للمصادفة اعتراف بالقصور عن تعرف هذه الأسباب، ثم يعلق عليها قائلا: " والوقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكاريه فى اعتقاده منذ تفتح العقل الإنسانى، غير أنى من وجهة رياضية أجد للصدفة معنى غير هذا معنى دقيقا بث للمرة الأولى فى تاريخ الفكر الإنسانى، وهذا المعنى لا تؤتينى الألفاظ العادية للتعبير عنه" (٥).

(١) د. محمد إبراهيم الفيومى: فى الفكر الدينى الجاهلى ص١٢.

(٢) الشيخ محمد الغزالى: الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص٦.

(٣) السابق: ص٤٠.

(٤) الأستاذ عباس محمود العقاد: الله ص٢٤١.

(٥) لماذا أنا ملحد: ص٧.

فهذا المغرور يرى اتفاق كل العلماء حول معنى الصدفة إلا أنه وجد لها معنى آخر للمرة الأولى فى تاريخ الفكر الإنسانى ثم أفلتت من ذكره صراحة لأن الألفاظ العادية لا تمكنه من التعبير عنه كما يزعم، وهى سمة ماركسية أشار إليها الدكتور يحى هاشم بقوله عن الماركسيين:" إن عبيد المادة عندما يجدون صعوبة فى التعبير عن إلههم يعتذرون بمثل ما يعتذر به المؤمنون بالله من ضيق وعاء اللغة البشرية عن استيعاب حقائق الألوهية [١] (٢٠)"، وما زلنا مع الإطلاقات العريضة التى تشى بتضخيم الذات عند هذا المرتد، وفى ذلك نقرأ سطورا يقف فيها موقف عدائيا من سنة سيدنا رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول:" الاختلاق وصل فعلا إلى الإسناد، فكم من حديث نطمئن إليه بدعوى صحة سنده، وفى الواقع إن هذا الاطمئنان ضعف فى النظر، فمن يدرينى أن الاختلاق لم يصل إلى الإسناد؟ ومن يدرينى أن الحديث ليس مختلقا مع إسناده؟ مسألة هامة كل الأهمية لم تطرأ على بال أحد، وبقيت فى جوف الزمان إلى اليوم [٢]" أرأيت إلى أى مدى وصل غروره؟ وصل إلى الادعاء باختلاق الحديث سندا ومتنا أو رواية ودراية ولم يكتشف ذلك إلا هو بعبقريته الباهرة، أو عدائيته الفاجرة إن أردنا الوصف الدقيق.

٤- أسرة إسماعيل أدهم:

رغم معرفتنا بمكان ولادته بالإسكندرية إلا أنه ليس مصريا، كما أنه ليس عربيا، فأبوه تركى وأمه ألمانية، فهو يقول عن أبيه:" ...أتى والدى إلى الآستانة وقد وضعت الحرب أوزارها، ودخل الحلفاء الآستانة، ولكن لم يبق كثيرا حيث غادرها مع مصطفى كمال إلى الأناضول ليبدأ مع زعماء الحركة الاستقلالية حركتهم"[٣]، ونحن ما زلنا نذكر من حديث الزركلى عن أبيه أنه كان ضابطا بالجيش التركي، وهذا يفسر سر انتقاله مع أتاتورك إلى الأناضول، فإذا عدنا إلى الوراء للبحث فى جذور العائلة لم نجد أمامنا إلا المعلومات القليلة

(١)د. يحيى هاشم حسن فرغل: حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب ص٧٠.

(٢) إسماعيل أدهم: من مصادر التاريخ الإسلامى ص٢٠، ٢١.

(٣) لماذا أنا ملحد؟، ص٣.

التى أوردها الزركلى عن أجداده، فجده لأمه كان معلما للغة التركية فى جامعة برلين، ومن هنا لا ندرى كيف التقى أبواه، هل جاء جده مع أسرته إلى تركيا بحكم تخصصه فى لغتها وتم اللقاء؟ أم سافر أبوه إلى برلين والتقى بأمه وتزوجها هناك؟ لا علم لنا بذلك فالمسألة داخل دائرة الاحتمالات والفروض.

أما عن سر ارتباط هذه الأسرة بمصر فيفسره المنصب الرفيع الذى شغله جد أبيه كمدير لديوان المدارس المصرية فى عهد محمد على، وإننا نتساءل: ألم يكن من بين المصريين من لديه الكفاءة لشغل هذا المنصب؟ أم أن قدر المصريين أن يتولى أمورهم أغراب عنهم وخصوصا فى أخطر دوائر الحياة وهو حقل التعليم؟ وكان ذلك واضحا أيام تبعية مصر للخلافة العثمانية، والاستعمار الإنجليزى، وحتى هذه اللحظة رغم حرية مصر واستقلالها يحاول الغرب التدخل لإصلاح مناهج التعليم فيها لتتناسب مع الرؤية الغربية وخصوصا فى دائرة الصراع بين المسلمين وبين بنى إسرائيل حول القضية المحورية فلسطين.

وإننا لم نبرأ بعد من التفسير الماركسى للتاريخ حتى يراد منا الإيمان بالتفسير الغربى له؛ لطمس الهوية واجتثاث الجذور، وتوجيه المستقبل لصالح أعدائنا.

ونعود إلى أسرة إسماعيل أدهم لنعلم أنه كان الابن الثالث لأبويه بعد شقيقتيه، ونأتى على أخطر ميراث للأبناء عن الآباء، فقد ورث إسماعيل الإسلام عن أبيه، بينما تابعت الابنتان ديانة أمهما، وكان أبوه دائم الأسفار؛ ومن هنا فقد عهد به إلى زوج عمته؛ وهذا كان يعانى من ازدواجية دينية، ومما أدى إلى هذه الازدواجية فى شخصيته أنه كان بالإضافة إلى التردد على الكنيسة مع أختيه كل أحد كان يذهب إلى المسجد مع زوج عمته لأداء صلاة الجمعة، وصلاة التراويح فى شهر رمضان، فضلا عن صيام هذا الشهر الكريم، وفيما يبدو أنه كان يصنع ذلك كله مضطرا دون اقتناع بدليل سرعة قيامه بالمروق من الإسلام، والاستعلان بإلحاده.

٥- إلمامه باللغات الأجنبية:

يعترف إسماعيل أدهم بأنه تعلم اللغة العربية على يد زوج عمته، وتعلم

الألمانية والتركية على يد شقيقتيه [1]، وقد جاء اعترافه هذا فى رسالة "لماذا أنا ملحد؟"، بيد أنه ذكر فى مؤلف آخر نشره قبل هذه الرسالة بعام أنه يعرف عدداً أكبر من اللغات، وفى ذلك يقول بالحرف الواحد: "... فدققت معظم المصادر العربية والتركية والفارسية مخطوطة ومطبوعة فى دور الكتب بمختلف أمصار أوروبا وآسيا وأفريقيا، وراجعت جل ما كتبه المستشرقون بالألمانية والروسية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية..." [2]، وقد جاء فى البرنامج الإذاعى الذى سبقت الإشارة إليه أنه يحسن التحدث بست لغات [3]، وربما يأتى هذا التضارب بسبب اتصافه بالكذب، وقد وصمه بذلك رجاء النقاش كما استشهدنا فيما سبق برأيه فى هذا الملحد الذى لعله لم يع الحكمة العربية التى تقول: إذا كنت كذوبا فكن ذكورا.

٦- مطالعاته ومؤلفاته:

لا أستطيع كتمان دهشتى من هذه الشخصية العجيبة، وقد ذكرنا فى الفقرة السابقة زعمه بالقيام بتدقيق معظم المصادر باللغات: العربية والتركية والفارسية، سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة فى أمصار ثلاث قارات: أوروبا وآسيا وأفريقيا كما راجع جل إنتاج المستشرقين باللغات: الألمانية والروسية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية، فهل يمكننا تصديق هذه الادعاءات من شخص لم يقدر له أن يعيش سوى تسعة وعشرين سنة فقط، فى أسرة غير مستقرة لأبوين مختلفين فى الديانة، والأب دائم السفر، والأم غادرت الدنيا ورضيعها فى عامه الثانى من العمر غير المبارك، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان دائم التنقل وذكر لنا ثلاث محطات فى حياته: مصر وتركيا، وروسيا، مع ملاحظة حصوله على درجتين للدكتوراه فى عام واحد ١٩٣٣م كما ذكر ذلك فى رسالة "لماذا أنا ملحد؟"، وليس فى عام ١٩٣١ كما جاء فى الأعلام للزركلى، وموضوع الرسالة الأولى فى الرياضيات البحتة، وموضوع الرسالة الثانية فى الطبيعيات النظرية، وقد حصل عليهما وهو فى الثانية والعشرين، فإذا صح هذا فنحن إذن أمام ظاهرة من الظواهر غير المعتادة، وهذا ما لا أصدقه، ولا يطمئن إليه قلبى، لماذا؟

(1) السابق: نفسه.

(2) من مصادر التاريخ الإسلامى ص٤.

(3) سليمان الخراشى: انتحار ملحد ص١.

لأنه وصل موسكو فى عام ١٩٣١م أى أنه مكث طالبا فى جامعتها حولين كاملين أنجز فيهما رسالتين فى موضوعين من أعقد الموضوعات، فهل هذا معقول؟!!

فأين الدراسات التمهيدية للتسجيل لدرجتى الدكتوراه؟، وما هو المدى الزمنى الأدنى لمناقشة الرسالة بعد إعدادها؟، وما هى القواعد الأكاديمية المنظمة لذلك كله؟

لابد من التذكير بسماته الشخصية التى سبق أن نوهنا بها من أنه كان كثير الوهم، وكان كذابا ومغرورا، والذى يضيف مزيدا من التأكيد على هذه السمات قوله عن نفسه: " فكرت أن أضع كتابا عن حياة محمد ونشأة الإسلام، وبالفعل مضيت فى المشروع إلى حد ليس باليسير، وبان لى أن الكتاب الذى فكرت فى وضعه لن يخرج فى أقل من ستة مجلدات ضخمة فى نحو الثلاثة آلاف صفحة، وما انتهيت إليه مجلد ضخم فى خمسمائة صفحة"[1]، ثم انتهى به الأمر إلى القيام بنشر أقل من أربعين صفحة مليئة بالافتراءات والحقد على الإسلام الذى تمثل فى الطعن فى السنة النبوية المطهرة وهى الرسالة التى نشرها تحت عنوان "من مصادر التاريخ الإسلامى"، وقد صادرتها الحكومة [2]، فأين مناخ الحرية الذى يتباكى عليه المغرضون؟، ولكن الأمر المثير للاستغراب هو تراخى الحكومة عن مصادرة الرسالة الأخطر لذلك المرتد، وهى التى نشرها بعد الرسالة المصادرة بعام أى فى ١٩٣٧م، فهل تعرضت الحكومة لضغوط خارجية لإغماض الأعين والتغاضى عن نشر الإلحاد والترويج له؟، لا نملك الإجابة اليقينية على ذلك، ولكن كل الاحتمالات واردة، وخصوصا وقد كانت مصر آنئذ خاضعة للاستعمار الإنجليزى، ومن شأن الاستعمار فى كل زمان ومكان التشجيع على وأد العقيدة الدينية، وقتل الحمية الوطنية، فضلا عن طمس الهوية، ونشر الفتن الطائفية، وإحياء النعرات القومية.. إلى غير ذلك من الدواهى والرزايا، ومما يساعد على بلوغ هذه الأغراض، وتحقيق هذه الأهداف أو بعضها ترك الساحة مفتوحة، والمناخ متاحا للترويج

(1) من مصادر التاريخ الإسلامى ص٤، ٥.

(2) الأعلام ١/ ٣١٠.

للإلحاد، وربما يكون هذا هو سر ترك رسالة "لماذا أنا ملحد؟" دون مصادرة.

وقد دلنا الدكتور إبراهيم عوض على أبحاث أخرى لهذا الملحد عن أدب توفيق الحكيم، وعن جميل صدقى الزهاوى، وعن خليل مطران[1]، والآن من حقنا أن نتساءل ما علاقة تخصصه فى الرياضيات البحتة والطبيعيات النظرية بالكتابة فى الإسلام؟! وكيف وجد الوقت الكافى لكثرة الأسفار فى مختلف الأمصار، والخروج بهذا القدر الضخم من المطالعات والمراجعات والمؤلفات الموسوعية ؟

وقد استرعى انتباهى أنه كان يقوم بالترويج لبيع مؤلفاته بنفسه من خلال التنويه بطباعتها وكيفية الاشتراك لشرائها على أقساط شهرية ترسل على عنوانه بالإسكندرية، والملاحظ فى هذه الإعلانات المبالغة القريبة من ضفاف الكذب، ومن ذلك ما أورده تحت عنوان: حياة محمد ونشأة الإسلام ٦ أجزاء فى ٣٠٠٠ صفحة عن قريب (يناير ١٩٣٧م) الجزء الأول فى ٥٠٠ صفحة من القطع الكبير، ثم يذكر نبذة عن موضوع الكتاب، نلتقط منها هذه السطور: ".. ينكر الكاتب فكرة ذهاب إبراهيم إلى الحجاز مع ابنه إسماعيل ونشأة العرب المستعربة من نسله.

ومن كل هذا يتطرق إلى مصادر حياة الرسول بالنقد ويدعى اضطراب أصول علم الحديث، وقواعد السيرة ويتناول القرآن ببحث ضاف فى جمعه وترتيبه وتدوينه.

ويبحث فى علم الأنساب من وجهة عامة، ثم ينقد نسب الرسول ويزعم أنه لم يكن من نسل عبد المطلب"[2].

والذى يعنينا الآن هو غزارة إنتاجه بصورة تبعث على الريبة، وتدفع إلى الشك، وخصوصا ونحن نفتقد هذه المؤلفات، ونكرر التساؤل: هل قام بطبع هذه المجلدات فعلا ولكنها لم تصل إلينا؟ أم لم يقم بطباعتها؟ ولكنه اكتفى بالإعلان عنها فقط.

ومهما يكن من أمر فإن الذى يستريح إليه الصدر، ويطمئن إليه الفؤاد أن هذا الشاب كان يعد إعدادا واضحا لأداء دور مشبوه فى الكيد للإسلام،

(1) د. إبراهيم عوض: إسماعيل أدهم ذلك المغرور المنتحر ص١٢، ١٣، نقلا عن موقع: http:// al-shaab.org.

(2) من مصادر التاريخ الإسلامى ص٥٠.

وليس أدل على ذلك من تقلبه فى هذه البيئات وتركه بصمة سوداء فى كل منها.

٧- خلفيته الثقافية

لا غنى لنا فى مطلع هذه الفقرة عن التذكير بما ورد من معلومات بشأن أسفاره، ومطالعاته، ومؤلفاته، واللغات التى كان يتقنها، وذلك كله ييسر لنا الولوج فى خلفيته الثقافية لإلقاء الأضواء على مكونات شخصيته، وروافدها، وما دور هذه المكونات فى وصوله إلى الإلحاد، كما أننا نعتذر مقدما عما يصادفه القارئ من تداخل بين هذه الفقرة وبين الفقرة السابقة.

ولا مفر من العودة إلى كلام إسماعيل نفسه للتعرف على بدايته مع القراء فى مكتبة والده التى كانت مشحونة بآلاف الكتب على حد تعبيره لنعلم أنه بدأ المطالعة فى سن مبكرة، حيث طالع وهو ابن الثامنة إنتاج الشعراء والروائيين الأتراك وخصوصا المشاهير منهم، ثم قرأ لبلزاك وجى دى موباسان وهيجو من الغربيين، ثم ينتقل بنا إلى تركيا لتبدأ فترة أخرى من حياته يقول عنها: "...ظللت أربع سنوات من سنة ١٩١٩م إلى ١٩٢٣م فى الآستانة... وفى هذه الفترة قرأت لدارون: أصل الأنواع وأصل الإنسان، وخرجت من قراءتهما مؤمنا بالتطور"[1].

قد تكون هذه هى البداية الرئيسية لقصة مروقه من الدين، وهو ما يزال غضا طريا ضعيف التكوين، ولكن اللافت للنظر هو مطالعته لكتب دارون مما يجعلنا نتساءل: هل كانت قراءته لكتب دارون من اختياره هو؟ أم فرضت عليه؟

فإذا لاحظنا أنه بدأ هذه المطالعة وهو فى الثامنة من عمره فكيف يستقيم لنا فهم أنه أتم حفظ القرآن وتجويده وهو فى العاشرة؟، وهل توازت قراءته لإنتاج دارون مع تلاوته لكتاب الله؟

ما علينا من ذلك فنحن على يقين من كذبه كما أسلفنا، فإذا عدنا إلى أقواله عن قراءاته فى هذه الفترة ألفيناه يذكر أنه قرأ لكثير من كبار الفلاسفة والطبيعيين الغربيين، ومن أشهرهم: هكسلى وهيكل، وديكارت وهوبس وهيوم وهو فى الثالثة عشرة، ثم قرأ لبوانكاريه ولوباشفسكى وهو فى الرابعة عشرة من عمره.

(1) لماذا أنا ملحد: ص ٣.

وسنقوم بعد قليل بإلقاء الأضواء على أفكار بعض هؤلاء الأعلام، ولكن بعد أن نعرف القارئ باللحظة التى أعلن فيها الثورة على الدين، وكانت أمام والده المتهم عنده بالتعصب للإسلام، وفى ذلك يقول: ..."توقف خط دراستى برجوع والدى من الآستانة ونزوحه إلى مصر واصطحابه إياى، وهنالك فى الإسكندرية خطوت أيام مراهقتى، ولكن أبى كان لا يعترف لى بحق تفكيرى، ووضع أساس عقيدتى المستقلة، فكان يفرض على الإسلام والقيام بشعائره فرضا، وأذكر يوما أنى ثرت على هذه الحالة، وامتنعت عن الصلاة وقلت له: إنى لست بمؤمن، أنا داروني أؤمن بالنشوء والارتقاء" [1].

وعلى طريقة كتاب السيناريو: اختار هذا الابن العاق أباه ليعلن عن إلحاده أمامه، ثم اختار مصر ليجاهر بكفره فيها، هذا عن المكان فماذا عن الزمان؟!

الزمان يقع بين عام ١٩٢٣م تاريخ عودته من تركيا إلى مصر وعام ١٩٢٧م تاريخ عودته إلى تركيا لاستكمال دراسته الجامعية بما يفيد أنه أعلن إلحاده فى منتصف العقد الثانى من عمره، ولا مفر لنا من الاستنتاج لعدم قيامه بذكر تاريخ إعلان ثورته على الإسلام فى حضرة أبيه رغم ولوعه بتسجيل الأحداث باليوم والشهر والسنة فى كثير من كتاباته.

(1) السابق: ص ٣.

٨- أهم الذين قرأ لهم إسماعيل أدهم وتأثر بهم:

فى بداية هذه الفقرة نعترف بعدم إمكانية المسح الشامل لإنتاج العلماء والفلاسفة الذين ساهموا بشكل أو بآخر فى التكوين الثقافى لإسماعيل أدهم، لاستحالة ذلك فى بحث مركز كهذا الذى نقوم بصياغته الآن، ورغم ذلك فإننا سنقوم بإلقاء بعض الأضواء الكاشفة على أهم الأفكار وأخطرها والتى من شأنها التأدى بالمتأثرين بها إلى المروق من الدين، وسنختار نماذج ممن طالع إنتاجهم وتأثر به فى مسيرته الفكرية على النحو التالى:

أولا: دارون:-

هو تشارلز دارون عالم الطبيعة الإنجليزى المشهور الذى ولد فى عام ١٨٠٩م وتوفى عام ١٨٨٢م، هو الذى أقام مذهب التطور، وتكفل بشرحه

وبسطه حتى نسب إليه، ولما كان أدهم قد اعترف بأنه قرأ كتابيه "أصل الأنواع" و "أصل الإنسان" فى طفولته فإننا نقوم الآن بالتعريف بأهم الأفكار الواردة فى كل منهما:

أ- **أصل الأنواع:** أخرج دارون كتابه هذا فى عام ١٨٥٩م، وضمنه أربعة قوانين طبيعية هى:

_ تنازع البقاء.
_ تكون التباينات أو تغير الأفراد.
_ الوراثة، وبواسطتها تنتقل هذه التغيرات أو التباينات فى النسل.
_ الانتخاب الطبيعى، بمعنى أن الطبيعة تنتخب المتغير من هذه الأفراد والذى يكون له بعض أفضلية [1].

ب- **أصل الإنسان:**

لم يتعرض دارون فى كتابه "أصل الأنواع" لأصل الإنسان ونشأته إلا على سبيل التلميح والإشارة فى آخر فصل فيه، ثم أخرج كتابه الذى تناول فيه أصل الإنسان فى عام ١٨٧١م، وحدد هدفه فى مقدمته التى أراد منها: النظر فيما إذا كان الإنسان كبقية الأنواع قد تسلسل من صورة كانت موجودة من قبل ثم انقرضت، ثم قام بتطبيق نظريته على الإنسان حيث أعلن صراحة أن الإنسان تطور من نوع سابق له من الكائنات، وقال: إن الفرق بين الإنسان والحيوان فرق بالكم أو بالدرجة فقط [2].

(1) د. صلاح عبد العليم: الإنسان فى القرآن الكريم: المبدأ والمصير ١٦٤/١.

ولا يسعنا المقام أن نفصل القول فى هذا المذهب الذى كانت له آثاره التدميرية على عقائد أهل الأديان السماوية، بل كان معول هدم لضرب عقائد المتدينين.

ثانيا: هكسلى:

يعتبر جوليان هكسلى الذى ولد فى عام ١٧٦٠م وتوفى عام ١٨٣٥م أشد تأثيرا، وأعظم خطرا من دارون فى تكوين شخصية إسماعيل أدهم وتهوين أمر الدين لديه، وتيسير المروق منه عليه لأنه كان فاجرا فى إلحاده فاسقا فى سلوكه، بل كان يجاهر بآرائه الإلحادية، ويفاخر بأنه كافر ملحد، بل كان يزعم أن العلم ينكر وجود الله محاولا دعم آرائه الإلحادية بمغالطات علمية؛ ولهذا، ألف كتابه: "الإنسان يقوم وحده"؛

(2) السابق: ص١٦٩، ١٧٠ بتصرف.

ليوهم القراء بأن العلم والإيمان نقيضان لا يجتمعان [1]، بيد أننا تعرفنا على هكسلى آخر هو توماس (١٨٢٥م-١٨٩٥م) الذى يعتبر من أشهر القائلين بالتطور، وأكثرهم ضجيجا ومهاترة، فقد كان يؤمن بالتولد الذاتى إيمانا قويا حيث زعم أنه توصل إلى مادة تعد حلقة الانتقال من الجماد إلى عالم الحياة ثم أعلن عن تراجعه لأنه تسبب فى تضليل الكثيرين من الذين اعتمدوا على شهرته [2]، وسواء أكان هكسلى هذا أم هكسلى ذاك حيث لم يحدد لنا لمن قرأ منهما ذلك الملحد فتأثيرهما واضح عليه لكفرهما الصريح.

وقد قام العلماء بالرد على جوليان هكسلى، ومن أبرزهم كريسى موريسون الذى وضع كتابا فى الرد عليه جعل عنوانه " الإنسان لا يقوم وحده" أثبت فيه بمختلف العلوم أن الله بارئ الكون وهو خالق كل شئ [3].

(١) كريسى موريسون: العلم يدعو إلى الإيمان ص١٧ ترجمة محمود صالح الفلكى.

(٢) د. أحمد عبده حمودة الجمل: فى المذاهب المعاصرة، ص١٨٦.

(٣) العلم يدعو إلى الإيمان ص١٨ من مقدمة المترجم.

ثالثا: هيكل:

أرنست هيكل الذى ولد فى عام ١٨٣٤م وتوفى عام ١٩١٩م الذى يزعم أن الحياة ترجع إلى أصل واحد هو "المونيرا" التى تركبت اتفاقا من الآزوت والهيدروجين والأوكسجين والكربون ثم تطورت على التوالى حتى تكونت جميع الكائنات الحية، وقد حول نظرية دارون إلى نظرية مادية إلحادية متطرفة [4]، ومن أخطر الأفكار التى تبناها هيكل فكرة التولد الذاتى التى قال بها توماس هكسلى وهى فكرة مرفوضة؛ لأنها تصطدم مع الرؤية الدينية لبدء الحياة وخصوصا فى الطرح الإسلامى، حيث تقوم هذه الفكرة التى يزعمون علميتها بالقطع بين انبثاق الحياة وبين مصدرها الأصيل وهو الحق تبارك وتعالى، وهو أحد الأهداف الرئيسة عند التطوريين، وقد بلغ من فجور هيكل هذا أن قال: "أعطنى هواء ومواد كيماوية ووقتا وأنا أصنع إنسانا"، ولكنه أغفل وحدات الوراثة "الجينات"، وأغفل الحياة نفسها.

لقد كان عليه – لو استطاع – أن يجد وينظم الذرات غير المرئية والجينات

(٤) فى المذاهب المعاصرة ص١٨٦.

"إن دليل الغائية المشهور قائم على تمثيل الكون بآلة صناعية وتمثيل الله بالصانع الإنسانى، ولكن الصانع الإنسانى علة محدودة تعمل فى جزء محدود، فبأى حق نمد التشبيه إلى هذا الكل العظيم الذى هو الكون، ونحن لا ندرى إن كان متجانسا فى جميع أنحائه؟

ولو سلمنا بهذه المماثلة لما انتهينا حتما إلى الإله الذى يقصده أصحاب الدليل، إذ يمكن أن نستدل بما فى الكون من نقص على أن الإله متناه كالصانع الإنسانى، وأنه ناقص يصادف مقاومة، أو أنه جسمى يعمل بيديه.

أو يمكن أن نفترض أن الكون نتيجة تعاون جماعة من الآلهة....

أما دليل المحرك الأول: فليس هناك ما يحتم تسليمه ونبذ المذهب المادى إذ قد يمكن أن تبدأ الحركة بالثقل أو بالكهرباء مثلا دون فاعل مريد.

وأما دليل الموجود الضرورى فلا يستند إلى أصل فى تجربتنا من حيث إن التجربة لا تعرض علينا انفعالا ضروريا، وأن المخيلة تستطيع دائما أن تسلب الوجود عن أى موجود كان.

إن معنى الموجود الضرورى ثمرة وهم المخيلة التى تمد موضوع تجاربنا إلى غير نهاية، فلم لا نمد المادة نفسها إلى غير نهاية فنعتبرها الله؟

وبأى حق نفترض الكون كلا محدودا حتى نبحث له عن علة مفارقة؟

وأخيرا إن وجود الشر يعارض القول بالعناية الإلهية" [1].

وبهذه الأضاليل التى نعق بها هيوم للتشكيك فى وجود الله تعالى عن طريق قيامه بالتعرض بالنقد لأدلة وجوده يستبين لنا الدافع الذى أعلنه أدهم عن قرب هيوم من نفسه؛ لأنه كان محركا قويا لاستنبات بذور الإلحاد داخل تكوينه، علما بأن هناك آخرين من علماء الطبيعة والرياضيات والفلاسفة غير هؤلاء كان قد أعلن أنه قرأ لهم إلا أننا اكتفينا بهؤلاء رغبة فى الإيجاز، وفيما ذكرناه ما يفى بالغرض الذى نتوخاه من هذه اللمحات السريعة عن اتجاهاتهم الرئيسية وأهم أفكارهم، والذى نختم به هذه الفقرة هو ما ذكرناه فى ثناياها من انحيازه إلى الذين تبنوا الاتجاه الإلحادى فى مذاهبهم، فاختار الكفر على الإيمان، وأعلن الإلحاد مذهبا له، بل زعم ارتياحه

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة: ص١٧٨، ١٧٩.

"إن دليل الغائية المشهور قائم على تمثيل الكون بآلة صناعية وتمثيل الله بالصانع الإنساني، ولكن الصانع الإنساني علة محدودة تعمل في جزء محدود، فبأي حق نمد التشبيه إلى هذا الكل العظيم الذي هو الكون، ونحن لا ندري إن كان متجانسا في جميع أنحائه.

ولو سلمنا بهذه المماثلة لما انتهينا حتما إلى الإله الذي يقصده أصحاب الدليل، إذ يمكن أن نستدل بما في الكون من نقص على أن الإله متناه كالصانع الإنساني، وأنه ناقص يصادف مقاومة، أو أنه جسمي يعمل بيديه.

أو يمكن أن نفترض أن الكون نتيجة تعاون جماعة من الآلهة....

أما دليل المحرك الأول: فليس هناك ما يحتم تسليمه ونبذ المذهب المادي إذ قد يمكن أن تبدأ الحركة بالثقل أو بالكهرباء مثلا دون فاعل مريد.

وأما دليل الموجود الضروري فلا يستند إلى أصل في تجربتنا من حيث إن التجربة لا تعرض علينا انفعالا ضروريا، وأن المخيلة تستطيع دائما أن تسلب الوجود عن أي موجود كان.

إن معنى الموجود الضروري ثمرة وهم المخيلة التي تمد موضوع تجاربنا إلى غير نهاية، فلم لا نمد المادة نفسها إلى غير نهاية فنعتبرها الله؟

وبأي حق نفترض الكون كلا محدودا حتى نبحث له عن علة مفارقة؟

وأخيرا إن وجود الشر يعارض القول بالعناية الإلهية" (١).

وبهذه الأضاليل التي نعق بها هيوم للتشكيك في وجود الله تعالى عن طريق قيامه بالتعرض بالنقد لأدلة وجوده يستبين لنا الدافع الذي أعلنه أدهم عن قرب هيوم من نفسه؛ لأنه كان محركا قويا لاستنبات بذور الإلحاد داخل تكوينه، علما بأن هناك آخرين من علماء الطبيعة والرياضيات والفلاسفة غير هؤلاء كان قد أعلن أنه قرأ لهم إلا أننا اكتفينا بهؤلاء رغبة في الإيجاز، وفيما ذكرناه ما يفي بالغرض الذي نتوخاه من هذه اللمحات السريعة عن اتجاهاتهم الرئيسية وأهم أفكارهم، والذي نختم به هذه الفقرة هو ما ذكرناه في ثناياها من انحيازه إلى الذين تبنوا الاتجاه الإلحادي في مذاهبهم، فاختار الكفر على الإيمان، وأعلن الإلحاد مذهبا له، بل زعم ارتياحه

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة: ص١٧٨، ١٧٩.

إليه، واطمئنانه به كما يطمئن المؤمنون إلى إيمانهم.

٩- الإلحاد عند إسماعيل أدهم: تعريفه وبواعثه:

بعد أن أعلن إسماعيل أدهم عن إلحاده، واطمئنانه إليه شرع يتساءل:

ما معنى الإلحاد؟

ثم قال في معرض الإجابة على هذا السؤال: " يجيبك لودفيج بخنر زعيم ملاحدة القرن التاسع عشر: "الإلحاد هو الجحود بالله، وعدم الإيمان بالخلود والإرادة الحرة"، والواقع أن هذا التعريف سلبي محض، ومن هنا لا أجد بدا من رفضه" (١).

ورغم فجور بخنر في إلحاده وتفوقه على دارون باتهام مذهبه بالنقص إلا أن تعريفه لم يرق للملحد المغرور، فبخنر " هذا الملحد كشف لنا كيف نفذ بمذهب دارون إلى إنكار الخلق والخالق سبحانه وتعالى بركونه إلى نزعته المادية الإلحادية حيث قام بإسناد الحياة في "الكرية الأولى" إلى ما يسميه بالتولد الذاتي " (٢)، وقد كانت الفكرة مطروحة بقوة في أوساط التطوريين.

وإذا كان أدهم قد أعلن رفضه لتعريف بخنر للإلحاد فما هو التعريف الذي ارتضاه؟ لنستمع إليه وهو يقول محتالا بإلحاده: والتعريف الذي أستصوبه وأراه يعبر عن عقيدتي كملحد هو: الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته، وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم".

ومن مزايا هذا التعريف – فيما يزعم– أن شقه الأول إيجابي محض، بينما لو أخذت وجهته السلبية لقام دليلا على عدم وجود الله، وشقه الثاني سلبي يتضمن كل ما في تعريف بخنر من معان"(٣).

فإذا عدنا إلى تعريفه وجدنا أنه يتضمن بشطريه الكفر الصريح:

– فالشطر الإيجابي رغم اعترافه بالسببية إلا أنه يجعلها داخلية، وينفي بذلك السبب الخارجي لخلق العالم؛ وبذلك يقطع الصلة بين المخلوق والخالق، بل ينفي الخالق عز وجل، ولم يأت المغرور الكاذب في ذلك بجديد فهذه هي وجهة نظر الفلسفة المادية منذ فجر التاريخ وحتى الآن.

– والشطر السلبي الذي ينكر فيه عالم الغيب أو الميتافيزيقا لم يأت فيه

(١) لماذا أنا ملحد؟ ص٥.

(٢) الإنسان في القرآن الكريم: المبدأ والمصير ص١/ ٢٠١.

(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص٥.

إليه، واطمئنانه به كما يطمئن المؤمنون إلى إيمانهم.

٩- الإلحاد عند إسماعيل أدهم

أ- تعريفه وبواعثه:

بعد أن أعلن إسماعيل أدهم عن إلحاده، واطمئنانه إليه شرع يتساءل:

ما معنى الإلحاد؟

ثم قال في معرض الإجابة على هذا السؤال: " يجيبك لودفيج بخنر زعيم ملاحدة القرن التاسع عشر: "الإلحاد هو الجحود بالله، وعدم الإيمان بالخلود والإرادة الحرة"، والواقع أن هذا التعريف سلبي محض، ومن هنا لا أجد بداً من رفضه" (١).

ورغم فجور بخنر في إلحاده وتفوقه على دارون باتهام مذهبه بالنقص إلا أن تعريفه لم يرق للملحد المغرور، فبخنر" هذا الملحد كشف لنا كيف نفذ بمذهب دارون إلى إنكار الخلق والخالق سبحانه وتعالى بركونه إلى نزعته المادية الإلحادية حيث قام بإسناد الحياة في "الكرية الأولى" إلى ما يسميه بالتولد الذاتي " (٢)، وقد كانت الفكرة مطروحة بقوة في أوساط التطوريين.

(١) لماذا أنا ملحد؟ ص٥.

(٢) الإنسان في القرآن الكريم: المبدأ والمصير ص١/ ٢٠١ .

وإذا كان أدهم قد أعلن رفضه لتعريف بخنر للإلحاد فما هو التعريف الذي ارتضاه؟ لنستمع إليه وهو يقول مختالا بإلحاده: والتعريف الذي أستصوبه وأراه يعبر عن عقيدتي كملحد هو: الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته، وأن ثمة لا شئ وراء هذا العالم".

ومن مزايا هذا التعريف – فيما يزعم– أن شقه الأول إيجابي محض، بينما لو أخذت وجهته السلبية لقام دليلا على عدم وجود الله، وشقه الثاني سلبي يتضمن كل ما في تعريف بخنر من معان"(٣) .

فإذا عدنا إلى تعريفه وجدنا أنه يتضمن بشطريه الكفر الصريح:

– فالشطر الإيجابي رغم اعترافه بالسببية إلا أنه يجعلها داخلية، وينفي بذلك السبب الخارجي خلق العالم؛ وبذلك يقطع الصلة بين المخلوق والخالق، بل ينفي الخالق عز وجل، ولم يأت المغرور الكاذب في ذلك بجديد فهذه هي وجهة نظر الفلسفة المادية منذ فجر التاريخ وحتى الآن.

– والشطر السلبي الذي ينكر فيه عالم الغيب أو الميتافيزيقا لم يأت فيه

(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص٥.

بجديد كذلك؛ لأن أنصار المدرسة الحسية يدينون بذلك ويتنادون به.

والآن نرى أن من حق البحث علينا أن نعرف بالإلحاد في سياقنا هنا، وفيما يلي نورد فكرة موجزة:

الإلحاد:

ألحد فلان: عدل عن الحق، وأدخل فيه ما ليس منه.

ألحد في الدين: طعن.

الملحد: الطاعن في الدين المائل عنه.

الجمع: ملحدون وملاحدة (١).

وفي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾(٢)، " فهم مكشوفون لعلم الله، وهم مأخوذون بما يلحدون مهما غالطوا والتووا، وحسبوا أنهم مفلتون من يد الله كما قد يفلتون بالمغالطة من حساب الناس"(٣).

وللشيخ محمد الغزالي تعريف طريف للإلحاد يقول فيه متسائلا: "أتعرف ما هو الإلحاد؟ أن يسفه المرء نفسه، ويركب رأسه، ويغمض عينيه عن

(١) المعجم الوجيز: مادة "لحد".

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٠.

(٣) الشيخ سيد قطب: في ظلال القرآن ٣١٢٦/٣.

كل ما حوله، ثم يصدر الأحكام جزافا لا تخضع لمنطق ولا يربطها فكر سليم" (٤)، وهذا ما صنعه إسماعيل أدهم بنفسه.

وقد سبق لنا إيراد أسباب إلحاده في الفقرة الثالثة من هذا المبحث، ولكن لا مانع من التذكير بها في سياقنا هذا حيث يقول: "إن الأسباب التي دعتني للتخلي عن الإيمان بالله كثيرة، منها:

– ما هو علمي بحت.

– ومنها ما هو فلسفي صرف.

– ومنها ما هو بين بين.

– ومنها ما يرجع لبيئتي وظروفي.

– ومنها ما يرجع لأسباب سيكولوجية... (٥).

حيث أفلت من تفصيل القول فيها، ورغم ذلك فقد ركز على السبب العلمي الذي دعاه للتخلي عن فكرة الله، وإننا نلاحظ أنه لا يتحدث عن الله عز وجل إلا مضافاً لكلمة فكرة، وهو حديث لا يدل إلا على فجوره في إلحاده، ووقاحته وسوء أدبه مع رب العزة سبحانه وتعالى، وتطاوله على مقام

(٤) الشيخ محمد الغزالي: الشهادتان: التوحيد والنبوة ص٢٣.

(٥) لماذا أنا ملحد؟ ص٥.

الألوهية، وقد سبق لنا التعليق على السبب المرتبط بنفسيته، والآن نود التعليق على السبب المرتبط بظروفه وبيئته، بينما الأسباب العلمية أو الرياضية أو الفلسفية سنرجئ الحديث عنها إلى المبحث القادم.

١- عداوته للدين وخصوصا الإسلام، وخصومته مع الوطنية، واستعلاؤه على العرب:

أما بالنسبة لعداوته للدين وخصومته مع الوطنية نكتفى بإيراد الإهداء الذى وضعه فى الصفحة الأولى فى رسالته المصادرة التى نشرها هنا فى مصر حيث يقول بالحرف الواحد:

" إلى أحرار الفكر

إلى الذين حرروا الفكر من قيوده، وجاهدوا فى سبيل تحرير العقل الإنسانى من تأثير الأساطير الدينية والمزاعم الوطنية، والذين أخذوا بيد الجماعات الإنسانية إلى الحياة الصحيحة أهدى هذا الكتيب لعلهم يجدون فيه نظرة حرة بعيدة عن تعصب الدين وجموده! [١]".

فتحرير العقل الإنسانى هدف يستحق الجهاد من أجله، ولكن تحريره من ماذا؟ من تأثير الأساطير الدينية والمزاعم الوطنية، ولعلنا نذكر القراء الكرام بأنه نشر هذا اللغو فى مصر، فماذا كان يريد من المصريين، ونكرر السؤال بصيغة أخرى: هل كان يريد إفساد عقائدهم، وقتل شعورهم الوطنى؟، ومن الذى كان يدعمه فى هذا التوجه الخبيث؟

ولعلنا إذا سرنا بعض الخطوات، واسترسلنا فى مطالعة كلامه عرفنا أن المقصود الأول بعداوته هو الإسلام، وليس الدين بإطلاق، أو لعله تكتيك مرحلى يهاجم فيه الإسلام أولا، ثم يهجم على فكرة الدين عموما!! فلقد كشف نفسه منذ البداية، فكان بذلك تلميذا صغيرا خائبا للمستشرقين الروس الذين استكتبوه هذا اللغو الفارغ، هل تحتاج منى عزيزى القارئ إلى أدلة أخرى لإثبات عداوته للإسلام، إليك هذه العبارة المباشرة التى لا يقل إعلانها فى سياقها سفاهة عن الهدف الذى أشرنا إليه آنفا حيث يقول فيها: "وإذا تضافرت كل هذه الريوب العقلية والدلائل التاريخية كان لا مندوحة لنا من رد الحديث كله.

(١) من مصادر التاريخ الإسلامى ص٣.

وأنت ترى من هذا البحث أن بحثنا مخالف كل المخالفة لما اتفق عليه المحدثون إذ أن كثرة الحديث فى نظرنا: ما بين مرفوض ومشكوك فيه.

وهكذا يتزلزل علم الحديث من أساسه وينهار تحت ضربات البحث التاريخى المقارن [١]".

وقد حكم بانهيار علم الحديث بعد ممارسات فجة للشك الذى استخدمه بسذاجة مضحكة، اقرأ معى قوله:" الاختلاق وصل فعلا إلى الإسناد، فكم من حديث نطمئن إليه بدعوى صحة سنده، وفى الواقع إن هذا الاطمئنان ضعف فى النظر، فمن يدرينى أن الاختلاق لم يصل إلى الإسناد؟، ومن يدرينى أن الحديث ليس مختلقا مع إسناده؟

مسألة هامة كل الأهمية لم تطرأ على بال أحد، وبقيت فى جوف الزمان إلى اليوم [٢]".

لا أستطيع أن أتخلى عن روح الدعابة التى ميز الله تعالى بها المصريين، وليعذرنى القارئ إذا علقت باللغة العامية مخاطبا هذا المغرور بكلمة واحدة: " يا جامد!!.."، أبقى هذا الخرف فى جوف الزمان إلى اليوم حتى استخرجته أنت؟ حقا إنه استخراج الجيف المنتنة والجثث المتعفنة!!

ائذن لى أن أزيدك اطلاعا على افتراءات هذا الملحد، واعذرنى لو سببت لك ضيقا، أو تسببت فى إغاظتك، اقرأ معى ما يفيد إصراره على هدفه، وهو الهدف الخبيث الحقير الذى وضعه فى خندق واحد مع من أطلقوا على أنفسهم لقب " القرآنيين" انتسابا إلى القرآن الكريم وهو برئ منهم، وفى ذلك يقول: " الكثرة المطلقة من الحديث ليست من كلام الرسول فى شئ، وإنما هى منتحلة بعد وفاة الرسول بنصف جيل على أقل تقدير، فالحديث يمثل حياة المدينة الإسلامية، وميول المسلمين وأهواءهم فى القرن الأول أكثر ما يمثل حياة الرسول.

وأكاد لا أشك فى أن ما بقى من الحديث قليل جدا لا يتجاوز أصابع اليد عدا، ولا يمثل شيئا ولا يدل على شئ، ولا ينبغى الاعتماد عليه فى استخراج التاريخ الصحيح للرسول، وكل ما تقرؤه فى كتب الحديث على أنه كلام النبى أو روايات تكلم بها صحابى عن

(١) السابق: ص٢٨.
(٢) من مصادر التاريخ الإسلامى، ص٢٠، ٢١.

الرسول فإنها ليست منه فى شئ، وإنما هو انتحال الرواة، واختلاق بعض الصحابة، أو صنعة التابعين، أو اختراع القصاص والمفسرين والمتحدثين" [١].

وبذلك أمسك هذا المغرور بقلمه الأحمر وقام بتجريح الجميع، يستوى فى ذلك الصحابة والتابعون وأهل التفسير، ورجال الحديث، وقد ساوى بينهم وبين القصاص!!؛ وبذلك يجب أن لا نستغرب إذا قام بالتشكيك فى نزاهة الصحابة، واعتبرها زعما حيث يقول : " ونحن إذا رفضنا زعم علماء الحديث بنزاهة الصحابة وأجرينا عليهم ما نجرى على غيرهم كنا أقرب إلى المنطق والعقل فى عملنا هذا ، وكنا لم نفعل أكثر من السير ومقتضيات علم النقد الحديث" [٢].

أما نظرته التى اتسمت بالاستعلاء على الجنس العربى فقد أشار إليها فى كثير من أقواله ومنها: "جاهد النبى جهاد الأبطال فى لم شعث القبائل العربية وإخضاعها لسلطانه، وكان توحيد العرب ضربة أليمة لخصائص هذا الشعب، وكبتاً لطبيعته الهمجية التى لا تعرف غير التشتت والتفرق سلطانا على نفسه وغير القتال والطعان والسلب والنهب طبيعة له" [٣]، كما كان يقول: "الغزو عند العرب هو الوسيلة الرئيسية

([١]) السابق ص٢٢، يأتى زعم القرآنيين فى العصر الحديث المارق أحمد صبحى منصور فى هذا الزمان معلنا بوضوح عن رفضه للسنة الصحيحة مشتركا مع هذا الملحد فى منهج الدراسة، وأسلوب التناول، وكأنه اطلع على أفكاره المتهافتة، وفى ذلك يقول مثلا: "نحن نرى أن أحاديث البخارى وغيره مما يسمونها سنة ليست سوى ثقافة دينية تعبر عن عصرها وقائليها، وليس لها أى علاقة بالإسلام أو بنبى الإسلام؛ ولأنها ثقافة تعبر عن عصورها الوسطى، وتعكس ما ساد فى هذه العصور من ظلم باسم الدين، واضطهاد باسم الدين، وحروب باسم الدين، فإن الإصلاح اليوم لابد أن يبدأ بنفى تلك الأحاديث وثقافتها إلى العصور التى جاءت إلينا منها". انظر جريدة الدستور: الأربعاء ١١ يوليو ٢٠٠٧م. ولا تنتهى تقاليع هذا الضال إذ بينما نكتب هذه السطور تأتينا آخر ضلالته حيث تبجح بأنه قام بنفسه بتزويج ثلاث فتيات مسلمات من ثلاثة من الشبان النصارى وذلك فى مؤتمر مشبوع عقد فى شيكاجو بالولايات المتحدة الأمريكية لمناصرة الأقباط فى مصر يومى ١٩، ٢٠ أكتوبر الحالى. انظر: جريدة الأهرام: الثلاثاء ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٧م، مقال للأستاذ فتحى محمود تحت عنوان: ثورة الأقباط.

([٢]) من مصادر التاريخ الإسلامى ص ٢٣.

([٣]) نفسه: ص٣٤.

لتوزيع الثروة [١]"، ومما يدل على ذلك أيضاً قوله عن أهل الأمم المفتوحة إنهم كانوا "أبناء تاريخ مجيد، وحضارات تليدة فى مجدها فسرعان ما رأيناهم قادة المدنية الإسلامية فى ساحات التفكير والحضارة؛ ذلك لأن أهل هذه الأمم أقدر على التفكير من العرب، وأعرق فى الثقافة والحضارة، والظروف المواتية لتأسيس الحضارات كانت متوافرة بينهم" [٢].

ولكن الذى تعامى عنه هذا الملحد هو انصهار الحضارات السابقة على الإسلام فى حواضر البلدان غير العربية فى الحضارة الإسلامية، واصطباغها بصبغتها، ونوالها شرف النسبة إلى الإسلام، ولكن ذلك يشكل غصة فى حلقة لا يقوى على التعبير عنها للحقد الذى يحتل قلبه.

١١- نهايته بين لغز انتحاره ورجع أفكاره:

مما يسترعى الانتباه قيام أحد مواقع الشبكة الدولية للمعلومات فى هذه الأيام بنشر كراسة "لماذا أنا ملحد؟" للمرتد إسماعيل أدهم، وهو موقع " اللادينيين العرب"، وجاء النشر مصحوبا بإعادة تذكير متصفحى الموقع برحيله منتحرا، مع الاستشهاد بآراء بعض كبار كتاب ومفكرى عصره ممن قاموا بالثناء عليه، وهذا التساؤل الذى أطلقه موقع من المواقع الإلحادية عديم الجدوى؛ لوضوح الإجابة عليه، وصيغته هى: " فهل كان شقيا تعيسا إلى الدرجة التى لم تعد لديه مقدرة على التحمل والاستمرار فى الحياة فبخع نفسه بيده وانتحر؟" [٣]، وهل هذا يحتاج إلى سؤال؟!!، وخصوصا بعد الاطلاع على الخطاب – الذى سطره بخط يده لرئيس النيابة، وعثر عليه فى جيب معطفه حيث اعترف بأنه قتل نفسه بالغرق يأسا من الدنيا، وزهادة فى العيش، وأوصى بتشريح رأسه، وحرق جثته، وعدم دفنه فى مقابر المسلمين.

ولعل فى انتحار هذا الملحد ما يجعلنا نحكم بكل ثقة بأنه كان منسجما مع خلفيته الماركسية التى تنتشر فيها ثقافة الانتحار بالخلاص من الحياة، وفى ذلك يقول الأستاذ عامر العقاد: "ومن

([١]) نفسه.

([٢]) من مصادر التاريخ الإسلامى ص٣٧.

([٣]) ويكيبيديا /الموسوعة الحرة.

يتتبع الحركة الفكرية والأدبية فى الاتحاد السوفييتى يجد أن هناك أدباء قد فضلوا الانتحار على الحياة، وحسبنا أن نذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الشاعر الروسى "مايكوفسكى" الذى بخع نفسه وهو فى السابعة والثلاثين من العمر، والشاعر الروسى "سرجى إيسنين" الذى بخع نفسه كذلك وهو فى الثلاثين"، ثم يتساءل قائلا: "فإذا كان الانتحار هو سبيل الخلاص أمام رجال الفكر فى الاتحاد السوفييتى فأين هى حرية التعبير التى يتشدق بها دعاة الشيوعية فى العالم؟[1]، ولعلنا لاحظنا تقارب الأعمار عند الانتحار بين النموذجين اللذين اختارهما الأستاذ العقاد، وبين إسماعيل أدهم.

ونحن فى غنى عن التأكيد على المشاعر النفسية السلبية التى تغطى حياة الملحدين، وامتلائها بكل ألوان القلق والعجز والخوف واليأس مما يؤدى حتما إلى اتخاذ القرار الصعب وهو الانسحاب من الحياة، ومما يؤكد ذلك ما جاء فى طرح المفكر العربى الكبير الدكتور رشدى فكار فى تعليقه على خواء المذاهب الوضعية من وجودية وفرويدية وماركسية ومعاناة أتباعها قائلا: "إن مسلسل الانتحار لديهم أكد لنا حقيقة هذه المعاناة، كما يجعلنا نذهب إلى حد القول – وبلا مجازفة– إن المجتمعات البشرية وفى كل عصورها التاريخية ما عرفت مثل ما تعرفه الآن من انتشار للمعاناة النفسية والقلق والاضطرابات العصبية نتيجة ليس فقط لتلوث البيئة، وتزييف العلاقات الإنسانية وإنما لتلوث الأفكار والقيم الروحية والمبادئ الأخلاقية والتشكيك فى صلاحية كل شئ من أجل لا شئ"[2].

بيد أننا لو عدنا إلى نهاية إسماعيل أدهم وجدنا أنفسنا مضطرين لإبداء بعض علامات الاستفهام حول كيفية نهايته، هل هى نهاية طبيعية اختارها بنفسه لإنهاء حياته يأسا من الدنيا، وزهدا فى العيش كما يذكر؟، وبذلك يكون قراره شخصيا فى المقام الأول تأسس على عوامل داخلية ومشاعر نفسية، أم أن هناك قوى خارجية أجبرته على هذه النهاية المفجعة؟ بعد ما أدى

([1]) عامر العقاد: حرب الأكاذيب ص ٩١، ٩٢.

([2]) د. رشدى فكار: لمحات عن منهجية الحوار والتحدى الإعجازى للإسلام فى هذا العصر ص٦٨.

دوره وختمه بنشر رسالته "لماذا أنا ملحد؟"، فلم تعد له فائدة كشأن الخونة والعملاء، وضرورة التخلص منهم بعد انكشافهم.

ومما يؤكد على أن صاحب هذا التقديم يقف مع هذا المرتد فى خندق واحد إعجابه به، وقيامه بنشر كراسته الإلحادية، وإقراره بعبثية الحياة على حد تعبيره، وفى هؤلاء وأمثالهم يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾[1].

والحمد لله تعالى على هلاك هذا الملحد بهذه الكيفية التى اختارها – أو اختيرت له– ليجمع بين جبن المواجهة، وحقارة الكفر، وفظاعة الانتحار، وإصراره على الضلال حتى النفس الأخير، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2].

المبحث الثالث
نقض تجربة إسماعيل أدهم الإلحادية

أعلن إسماعيل أدهم عن إلحاده فى مطلع رسالته باقتباس بيتين للشاعر جميل صدقى الزهاوى قال فيهما:

لما جهلت من الطبيعة أمرها
وأقمت نفسك فى مقام معلل
أثبت ربا تبتغى حلاً به
للمشكلات فكان أكبر مشكل

وقد ذكر الملحد أنه كتب رسالته كرد فعل لمطالعته محاضرة للدكتور أحمد ذكى أبو شادى جاءت فى خاتمها هذه الأبيات:

يا كون أنست مثالى
وفى حياتى حياتك
ألست مرآة نفسى
وأننى مرآتك
ومن جمالك روحى
وملء روحى صفاتك
أراك سرا جميلا
تبثه آياتك[3]

([1]) سورة محمد: الآية ٢٥.

([2]) سورة يوسف: الآية ٢١.

([3]) د.جابر عصفور: التنوير يواجه الإظلام ص ٢٠.

ولكن الأمر أخطر من ذلك بكثير والذى أطمئن إليه أنه قام بدور مرسوم، وما سقناه –ونسوقه– من الشواهد والقرائن يؤيد هذا، إلا أنه وجد الفرصة سانحة للجهر بإلحاده بعد المحاضرة المشار إليها.

والآن نقوم بنقد تلك التجربة الإلحادية من خلال مناقشة الأفكار الآتية:

١– رؤية أدهم للألوهية.

٢– فكرته عن السببية.

٣– إيمانه بالصدفة.

أولاً: رؤية إسماعيل أدهم لقضية الألوهية:

بعد أن قام إسماعيل أدهم بإيراد بعض أسماء لفلاسفة وعلماء صنفهم ضمن اللاأدريين، وهم كانت[1]، وهربرت سبنسر[2]، وتوماس هكسلى[3] عقب على ذلك بهذا التساؤل: "هل عدم قيام الأدلة على عدم وجود الله مما يدفع المرء للاأدرية؟[4]"

(1) إمانويل كانت (١٧٢٤-١٨٠٤م) فيلسوف ألمانى قام بنقد الميتافيزيقا فى رسالة له بعنوان "الأساس الممكن الوحيد للبرهنة على وجود الله"، من مؤلفاته: "دراسة فى وضوح مبادئ العلم الإلهى النظرى والأخلاق"، و"أحلام واهم معبرة بأحلام الميتافيزيقا"، ورسالة فى "صورة ومبادئ العالم المحسوس والعالم المعقول"، ثم أخرج كتابه الأكبر "نقد العقل الخالص النظرى"، ثم وضع رسالته "مقدمة لكل ميتافيزيقا مستقبلة تريد أن تعتبر علما"، ثم تحول إلى فلسفة الأخلاق فصنف فيها كتابين: الأول "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"، والثانى "نقد العقل العملى" انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة تأليف يوسف كرم ص٢٠٨ ص٢٦٠.

(2) هربت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣م) شغل بمسألة التطور، وأول عرض له فى فلسفة التطور ظهر فى مقال عنوانه: "التقدم: قانونه وعلته"، فذكره دارون فى مقدمة كتابه "أصل الأنواع" بين الذين سبقوه إلى نظريته، من مؤلفاته: "المبادئ الأولى"، و"مبادئ البيولوجيا"، "مبادئ علم النفس"، و"مبادئ علم الاجتماع"، "مبادئ الأخلاق" وله أيضا كتاب فى التربية، وآخر فى تصنيف العلوم، وأخير فى ترجمة حياته. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة تأليف يوسف كرم ص٣٥٦ ص٣٦٤.

(3) توماس هكسلى (١٨٢٥-١٨٩٥م) طبق نظرية التطور على الإنسان قبل دارون وذلك فى كتابه: "مكان الإنسان فى الطبيعة"، وله كتاب عن "هيوم: حياته وفلسفته"، وله "محاولات مختلفة"، سبق أن ذكرناه فى سياق المبحث الثانى ضمن الشخصيات التى أعلن أدهم قراءته لمؤلفاتهم، وتأثره بهم. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة تأليف يوسف كرم ص٣٦٤، ٣٦٥.

(4) لماذا أنا ملحد؟ ص٦.

ثم يتولى الإجابة لنفسه على سؤاله المطروح قائلا فى غرور الواثق أو ثقة المغرور: "الواقع الذى ألمسه أن فكرة الله فكرة أولية، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفى سنة؛ ومن هنا يمكننا بكل اطمئنان أن نقول: إن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها فى عالم الفكر الإنسانى لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية الفلسفية، وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير.

ومن هنا فإنك لا تجد لكل الأدلة التى تقام لأجل إثبات وجود السبب الأول قيمة علمية أو عقلية.

ونحن نعلم مع رجال الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية.

ومعرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التى كنا نخلعها عليها"[1].

هذه الفقرة من رسالة "لماذا أنا ملحد؟" هى الوحيدة التى تناول فيها إسماعيل أدهم قضية الألوهية بأسلوب مباشر، وقبل التعرض لها بالتحليل والنقد نبدى الملاحظات الآتية:

١– جاء حديثه عن رب العزة تبارك وتعالى بصورة لا تليق بذاته العلية، وقد تكرر لفظ الجلالة فى هذه الفقرة أربع مرات مضافا إلى كلمة فكرة؛ وبهذا فقد حصر قضية الألوهية فى دائرة الفكر، واختزل الله عز وجل فى فكرة من الأفكار!!.

٢– اعتبر إسماعيل أدهم "فكرة الله" فكرة أولية، ولعلنا ما زلنا نذكر أنه قام بالشك فى أوليات الرياضيات، ولابد من ملاحظة أن الذى يمارس الشك فى الأوليات لابد أن يكون لديه خلل فكرى بشكل أو بآخر؛ لأن أوليات العلوم من القواسم المشتركة التى تلتقى عندها العقول،وتتوحد لديها الأنظار، ولم يشذ على هذا الخط الفكرى سوى السوفسطائيين، ومن سار على دربهم، وكذلك الأمر بالنسبة لأولية "فكرة الله" التى هى جزء من فطرة الناس التى فطرهم خالقهم عليها، وفى سياقنا هذا نحيل القارئ إلى الدراسة القيمة التى قام بإعدادها الزميل الفاضل الدكتور محمد عبد التواب السيد تحت عنوان: "وجود الله تعالى بين الفطرة والدليل"

(1) السابق: نفسه.

ثم يتولى الإجابة لنفسه على سؤاله المطروح قائلا فى غرور الواثق أو ثقة المغرور: "الواقع الذى ألمسه أن فكرة الله فكرة أولية، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفى سنة، ومن هنا يمكننا بكل اطمئنان أن نقول: إن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها فى عالم الفكر الإنسانى لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية الفلسفية، وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير.

ومن هنا فإنك لا تجد لكل الأدلة التى تقام لأجل إثبات وجود السبب الأول قيمة علمية أو عقلية.

ونحن نعلم مع رجال الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية.

ومعرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التى كنا نخلعها عليها"[1].

هذه الفقرة من رسالة "لماذا أنا ملحد؟" هى الوحيدة التى تناول فيها إسماعيل أدهم قضية الألوهية بأسلوب مباشر، وقبل التعرض لها بالتحليل والنقد نبدى الملاحظات الآتية:

١- جاء حديثه عن رب العزة تبارك وتعالى بصورة لا تليق بذاته العلية، وقد تكرر لفظ الجلالة فى هذه الفقرة أربع مرات مضافا إلى كلمة فكرة؛ وبهذا فقد حصر قضية الألوهية فى دائرة الفكر، واختزل الله عز وجل فى فكرة من الأفكار!!.

٢- اعتبر إسماعيل أدهم "فكرة الله" فكرة أولية، ولعلنا ما زلنا نذكر أنه قام بالشك فى أوليات الرياضيات، ولابد من ملاحظة أن الذى يمارس الشك فى الأوليات لابد أن يكون لديه خلل فكرى بشكل أو بآخر؛ لأن أوليات العلوم من القواسم المشتركة التى تلتقى عندها العقول،وتتوحد لديها الأنظار، ولم يشذ على هذا الخط الفكرى سوى السوفسطائيين، ومن سار على دربهم، وكذلك الأمر بالنسبة لأولية "فكرة الله" التى هى جزء من فطرة الناس التى فطرهم خالقهم عليها، وفى سياقنا هذا نحيل القارئ إلى الدراسة القيمة التى قام بإعدادها الزميل الفاضل الدكتور محمد عبد التواب السيد تحت عنوان: "وجود الله تعالى بين الفطرة والدليل"

(١) السابق: نفسه.

٣- وضع أدهم نفسه فى مصاف المتخصصين فى علم الاجتماع، واستخلص بعبقريته أن فكرة الله أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفى سنة.

٤- خطا خطوة أبعد، وإن شئت قل قفز قفزة أعلى إلا أنها كقفزة القرد عندما سلب فكرة الله عناصر القوة الإقناعية الفلسفية التى لم تكن سببا لانتشارها فى عالم الفكر الإنسانى، وإنما السبب هو التبرير على حد تسمية علماء النفس فيما يزعم.

٥- التشكيك فى الأدلة التى تثبت وجود السبب الأول على حد تعبيره، وافتقادها للقيم العلمية والعقلية.

٦- تطورت فكرةالله عن حالات بدائية كما يزعم هذا المرتد، ويرجع وجودها إلى الحالات الشعورية ومنها الجهل بأسباب الظواهر الطبيعية.

٧- افتقاد فكرة الألوهية للقدسية التى كان البشر يخلعونها عليها بعد معرفة أصلها.

ونبدأ الآن بتفكيك خطابه، وتحليل منطلقاته، ولكن قبل ذلك نحن فى حالة اضطرار للبدء -ونعتذر للتكرار- بالتذكير بجذر هذا التعبير الغريب الذى يتحدث فيه عن الألوهية بجلالها وجمالها وكمالها باعتبارها مجرد فكرة من الأفكار، وهذا الجذر جاء فى مادة ضمن أحد القوانين الصادرة فى الاتحاد السوفييتى بتاريخ ١٥ مايو ١٩٣٢م عندما كان ذلك الملحد يقيم هناك فى معقل الإلحاد فى العالم، وقبل حصوله على درجتى الدكتوراه بعام واحد، تقول هذه المادة: " لن يبقى فى كافة أرجاء الاتحاد السوفييتى مكان للعبادة، ويجب القضاء نهائيا على فكرة الله؛ لأنها بقية من بقايا القرون الوسطى، وأداة لاضطهاد الطبقات العاملة"[1]، ونحن نقطع بأن هذا المارق قد اطلع على هذا القانون، وعلى هذه المادة بالذات، بل كان أداة طيعة من أدوات تحقيقها، وليس أدل على ذلك من منهجه فى التفكير، وأسلوبه فى التناول، ولغته فى الحديث.

إن إسماعيل أدهم أخفق فى تناوله قضية الألوهية إخفاقا واضحا مثلما أخفق فى تبنى موقف الشك الذى تأدى به إلى نتائج سلبية، وهو هنا قد كان

(١) د.محمد عبد الفضيل القوصى: إفلاس الفكر الماركسى: ص ٢٢٢.

٣- وضع أدهم نفسه فى مصاف المتخصصين فى علم الاجتماع، واستخلص بعبقريته أن فكرة الله أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفى سنة.

٤- خطا خطوة أبعد، وإن شئت قل قفز قفزة أعلى إلا أنها كقفزة القرد عندما سلب فكرة الله عناصر القوة الإقناعية الفلسفية التى لم تكن سببا لانتشارها فى عالم الفكر الإنسانى، وإنما السبب هو التبرير على حد تسمية علماء النفس فيما يزعم.

٥- التشكيك فى الأدلة التى تثبت وجود السبب الأول على حد تعبيره، وافتقادها للقيم العلمية والعقلية.

٦- تطورت فكرة الله عن حالات بدائية كما يزعم هذا المرتد، ويرجع وجودها إلى الحالات الشعورية ومنها الجهل بأسباب الظواهر الطبيعية.

٧- افتقاد فكرة الألوهية للقدسية التى كان البشر يخلعونها عليها بعد معرفة أصلها.

ونبدأ الآن بتفكيك خطابه، وتحليل منطلقاته، ولكن قبل ذلك نحن فى حالة اضطرار للبدء -ونعتذر للتكرار- بالتذكير بجذر هذا التعبير الغريب الذى يتحدث فيه عن الألوهية بجلالها وجمالها وكمالها باعتبارها مجرد فكرة من الأفكار، وهذا الجذر جاء فى مادة ضمن أحد القوانين الصادرة فى الاتحاد السوفييتى بتاريخ ١٥ مايو ١٩٣٢م عندما كان ذلك الملحد يقيم هناك فى معقل الإلحاد فى العالم، وقبل حصوله على درجتى الدكتوراه بعام واحد، تقول هذه المادة: " لن يبقى فى كافة أرجاء الاتحاد السوفييتى مكان للعبادة، ويجب القضاء نهائيا على فكرة الله؛ لأنها بقية من بقايا القرون الوسطى، وأداة لاضطهاد الطبقات العاملة"[١]، ونحن نقطع بأن هذا المارق قد اطلع على هذا القانون، وعلى هذه المادة بالذات، بل كان أداة طيعة من أدوات تحقيقها، وليس أدل على ذلك من منهجه فى التفكير، وأسلوبه فى التناول، ولغته فى الحديث.

إن إسماعيل أدهم أخفق فى تناوله قضية الألوهية إخفاقا واضحا مثلما أخفق فى تبنى موقف الشك الذى تأدى به إلى نتائج سلبية، وهو هنا قد كان

(١) د. محمد عبد الفضيل القوصى: إفلاس الفكر الماركسى: ص ٢٢٢.

البشرية القاصرة التى تفتقر إلى البراهين الصحيحة التى لا يتطرق إليها شك، وهى التى إعلن إيمانه بها كنظرية النشوء والارتقاء التى تلخص فلسفة التطور عند دارون وسابقيه ولاحقيه، ولن نسوق له الأدلة العلمية المستمدة من القرآن الكريم ومن الصحيح الثابت من سنة سيدنا رسول الله ﷺ، ولكن نتمثل له بقول الحق عز وجل: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[١]، ولن نتتبع عورات نظرية التطور فى سياقنا هذا حتى لا يتفلت الموضوع من بين أصابعنا ولكننا نحيله إلى موقف واحد لأحد الذين كان أدهم مفتونا بهم وهو توماس هكسلى الذى اكتشف فى قاع البحر مادة هلامية اعتقد أنها حلقة الانتقال من عالم الجماد على عالم الحياة، ونظر فيها فاعتقد أنها "بروتوبلازم" ودعاها بذلك الإسم، ثم اتضح أنها طين لا أكثر أو رواسب جرف مواد عضوية، وقد اعترف بذلك وأعلن أسفه؛ لأنه كان السبب فى تضليل كثيرين اعتمدوا على شهرته، واستشهدوا به فى تأييد التولد الذاتى"[٢]، فهكسلى هذا لم يكن أمينا فى علمه، ولم يكن على دين!!، ورغم ذلك فهل خلا الوعى البشرى من فكرة الألوهية قبل ألفى سنة؟، إننا لو عدنا القهقرى منذ جهر بهذا اللغو الفارغ فى عام ١٩٣٧م لوجدنا أن الألفى سنة تنهى قبل الميلاد بثلاثة وستين عاما، فأين حضور عقيدة الألوهية فى المجتمعات البشرية على أيدى الأنبياء الكبار قبل عيسى عليه السلام؟

وبم كان يطالب هؤلاء الأنبياء أقوامهم سواء آمنوا بدعوتهم أم كفروا بها؟!.

ألم تكن عقيدة الألوهية حاضرة بقوة عند إبراهيم ولوط ونوح وموسى وغيرهم من المرسلين؟! بل بم انشغل البشر منذ دبت أقدامهم على الأرض - حتى لو كانوا منحدرين من أصلاب القردة العليا حسب زعم سادته-؟، ألم تشغلهم فكرة الألوهية والبحث عن القوى الخارجية التى تتحكم فى الظواهر الطبيعية؟ وسواء أقال هؤلاء البشر بتعدد الآلهة؟ أم آمنوا بالإله الواحد؟....

(١) سورة الكهف: الآية ٥١.

(٢) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص٣٦٤،٣٦٥.

فالأديان السماوية، بل والأديان الوضعية أقدم بكثير من هذا التاريخ القريب الذى حدده بغفلة وسذاجة ذلك الدعى الأخرق، وستعرف بعد قليل على توازى غريزة التدين مع وجود الإنسان منذ فجر التاريخ الذى يصل فى طرح العلم — وهو مجرد تخمين— إلى ملايين السنين.

ومهما يكن من أمر فإن زعمه يفتقر إلى ما ينهض دليلا على صحته، بالإضافة إلى افتقاده للأسس العقلية، والضوابط القياسية، والمعايير الاستقرائية التى وضعها علماء الاجتماع الباحثون فى نشأة الدين، وأشهرهم دوركايم الذى يرى أن "الدين بدأ بأن تصور الناس قوة لاشخصية متفرقة فى الأشياء تمنحها ما لها من قوة، ثم تشخصت هذه القوة فى الطوطم [١] أولا، وفى الإله الواحد أخيرا، فكانت لنا فكرة الله كموجود شخصى مقدس، فإن هذه الفكرة ليست مستفادة مما نشعر به من قوة باطنة، ولا مكتسبة بالاستدلال، ولكنها اجتماعية.

والدين أقوى مظاهر الحياة الاجتماعية وأعمها إليه ترجع الصور التى انتظمت بها المعارف الإنسانية، إذ أنه الينبوع الذى تفيض منه القوة الجسمية، والقوة المعنوية فى أفعال الحياة المشتركة"[٢]، وقد أشرنا إلى تعدد المدارس، وتنوع المذاهب التى تناولت بالدرس والتحليل نشأة الدين[٣]، ورغم ذلك فقد اخترنا دوركايم وحده لأنه ربط نشأة الدين بالاجتماع البشرى، وهو ما رأينا شبيها له — إلى حد ما— عن أدهم فى ربطه بين "فكرة الله" وبين الجماعات البشرية.

وقد تعرضت آراء دوركايم لنقد عنيف عند الإسلاميين الذين تناولوها بالبحث، فالدكتور دراز ينتقد دوركايم، ويقول عنه بأنه " يعمد إلى ضرب من اللهو الخليع يأتيه بعض القبائل فى حفلات تضم كل شئ إلا الدين والعبادة، ويترخص فيها بارتكاب أعمال شاذة تنافى قواعد الأخلاق المقررة والمتبعة بانتظام عندهم، يعمد إلى هذه الحفلات الماجنة، فيرسم لنا منها لوحة

(١) هذا الاسم مأخوذ من لغة الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية، وهو اسم لم يتفق على ضبطه ولا تحديد معناه، ويفسر تارة بمعنى موطن العشيرة ومستقرها، وتارة بمعنى العلامة والشعار. انظر: الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ص١٥٩.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٣٤.

(٣) انظر أيضا: الله للأستاذ عباس محمود العقاد. نشأة الدين للأستاذ على سامى النشار.

بارزة يعرضها علينا قائلا: إذا أردتم معنى الدين فها هنا منبعه ومظهره.

هكذا وصل الأمر بهذا البحاثة فى تقديره لعقول قرائه إلى حد محاولة إلهائهم عن الحقائق، وتسمية الأشياء لهم بغير أسمائها، فهو يريد أن يقول لهم: إن كل حمية جنونية يثيرها مجتمع صاخب، وكل سورة إباحية تنطلق فيها الوجدانات من عقالها بعدوى المحاكاة أيا كان هدفها وباعثها فهى نوع من الدين، ولو كان سيل الشهوات الجامحة فيها يجترف كل ضابط من ضوابط العقول، ويقتحم كل معقل من معاقل الآداب المحترمة فى الشعب نفسه.

إننا نرى لزاما علينا أن ننبه ها هنا إلى خطأ منهجى صريح وقع فيه صاحب المنهج نفسه"[١].

ويتحدث الدكتور رشدى فكار فى لهجة أكثر سخرية وحدة من الدكتور دراز فينتقد الاجتماعيين الذين حاولوا الوصول من المعتقدات البدائية إلى العقائد السماوية، قائلا عنهم: "أكثرهم من اليهود الخارجين حتى على يهوديتهم، ولديهم مبيتات وعقد انغلاقية وهموم عميقة سعوا إلى تقيئها للنيل من الأديان السماوية الخالدة بالبحث عن ربط مصطنع بين المنقرض والحى الدائم المستمر الخالد، وكأنهم كانوا جالسين على مقهى وهم يرون هذا المشهد العجيب من تحول المعتقدات البدائية إلى عقائد سماوية"[٢].

وزعيمهم دوركايم هذا " هو ربيب الثقافة الماركسية، والنظرية المادية أصلا، ومفهومه معارض تماما لكل القيم الأساسية التى جاءت بها الفطرة، أو صاغتها الأديان فى منهجها الربانى القائم على الفطرة"[٣].

واللافت للنظر فى سياقنا هذا — بعد تصريح د. فكار بأن جل رجال المدرسة الاجتماعية من اليهود، "ولا ريب أن نظرية دوركايم فى الاجتماع حين تلتقى بنظرية فرويد فى النفس ونظرية ماركس فى الاقتصاد من شأنها أن تشكل إنسانا مضطربا مزعزع الوجدان.

واليهود الثلاثة هم القادة المسيطرون على هذا الفكر الغربى الذى

(١) الدين ص١٦٦.

(٢) د. رشدى فكار: لمحات عن منهجية الحوار والتحدى الإعجازى للإسلام فى هذاالعصر ص٧٤، ٧٥.

(٣) أنور الجندى: على الفكر الإسلامى أن يتحرر من سارتروفرويد ودوركايم ص٢٥.

يفرض الآن على أنه هو الفكر العالمى، بينما تختفى مفاهيم الإسلام فى النفس والأخلاق والاجتماع وتتضاءل، ولا تعرض حتى على أنها وجهة نظر أخرى بل لعل شبابنا فى الجامعات يرى أنه ليس هناك مفهوم إسلامى هو أعمق وأصدق وأكثر أصالة من هذا المفهوم الذى تقوم عليه مجتمعات الغرب التى تعانى من تمزق الفرد واضطراب الأسرة وتخلخل المجتمع"[١].

والآن ننتقل إلى نقطة أخرى فى نقد رؤية المارق إسماعيل أدهم لقضية الألوهية، ونستأذن القارئ الكريم أن يتذكر مصطلح "التبرير" الذى اقتبسناه من الدكتور رشدى فكار ورجونا القارئ أن يقوم بالاحتفاظ به، فماذا نريد من وراء ذلك؟

قلنا منذ قليل: إن أدهم بعد أن حدد الحضور التاريخى لفكرة الله فى الجماعات بألفى سنة قفز قفزة أعلى مما يقوم بها القرد، ونحن لا نمزح بهذا التشبيه ولا نسخر من أدهم؛ لأنه هو نفسه أعلن أمام أبيه أنه يؤمن بالنشوء والارتقاء، بل قال: إنه داروني وصرخ بها على سبيل الفخر والخيلاء، فلا غرابة إذن فى الاحتكام إلى جيناته الوراثية، والانبهار بقفزته الباعثة على الضحك المثيرة للرثاء بإعلانه بأن مقام فكرة الله الفلسفية، أو مكانها فى عالم الفكر الإنسانى لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية الفلسفية.

فما هى – إذن– علة هذا الحضور الواضح لعقيدة الألوهية فى كل تجمع بشرى فى كل زمان ومكان " فقد اتفق الموثوق بهم من مؤرخى الأديان على أن أشد الشعوب همجية ووثنية لم تنفك عن الاعتقاد بإله خالق هو رب الأرباب"[٢].

فكيف قام أدهم بحل هذه الإشكالية؟، إنه قام بالإفلات منها عن طريق حيلة أشبه بحيل الحواة، وهى التخييل على المتفرجين بمشهد بينما هم فى انتظار مشهد آخر مغاير له تماما، فقد انتقل من مجال الفلسفة إلى مجال علم النفس زاعما أن التبرير هو الذى يسر لفكرة الله" هذا الانتشار، وضمن لها ذلك الاستمرار.

(١) السابق: ص ٢٨.
= انظر أيضا: الخطر اليهودى: بروتوكولات حكماء صهيون للأستاذ محمد خليفة التونسى ص٧١، ١١٣.

(٢) الدين ص١١٨.

وقد قلنا وكررنا القول عن عشرات النماذج من الفلاسفة والعلماء الذين وصلوا من خلال البحث الحر إلى الإقرار بوجود الله عز وجل بمختلف المناهج الفلسفية والعلمية، ومنها بطبيعة الحال المدرسة النفسية، ولكننا لم نر أحد أربابها مثل أدهم الذى قام باستخدام هذا المصطلح "التبرير"، الذى لا يقول به إلا العوام، ولا يتنادى به إلا السذج الغافلون.

ومن المثير للشفقة، بل والباعث على الغيظ من هذا السفيه هو قيامه بتوجيه النقد لسادته من العلماء الذين أقروا بوجود الله عز وجل، ومنهم آينشتاين والسيرجيمس جينز، وستكون لنا وقفة مع هذه الجزئية فى الفقرة الأخيرة. وهذا التعليل الذى حصره فى التبرير لم نجد له أثرا عند أصحاب المذاهب النفسية[١] من ساباتييه إلى برجسون حتى ديكارت الذى صنفه د. دراز ضمن رجال المدرسة النفسية باعتبار تجربته الشخصية تجربة نفسية فى المقام الأول، وربما أدى ذلك النقد بأدهم إلى نقطة أخرى قام فيها بتوجيه النقد – إجمالا– إلى الأدلة المستخدمة لإثبات وجود السبب الأول نافيا عنها كل قيمة عقلية أو علمية، ولعلنا ما زلنا نذكر سر افتتانه وانبهاره بهيوم وإعلانه بأنه كان الأقرب إلى نفسه، ولعلنا ندرك الآن بعض السر فى ذلك لأن هيوم سبقه فى هذا المجال حيث توجه – بمنهج سوفسطائى– لانتقاد الأدلة التى تبرهن على إثبات وجود الله تعالى عن طريق العقل[٢]، كما أشرنا إلى ذلك فى سياقه من هذا البحث.

ثم يستمر إسماعيل أدهم فى ممارسة دوره المشبوه من خلال التلبيس على القراء، والتمويه والخداع فيقول: "ونحن نعلم مع رجال الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية"[٣].

وقبل التعليق على هذا الطرح المتهافت أود التنبيه على هذا التناقض الذى وقع فيه هذا الملحد، وهو قوله عن أصل فكرة الله إنها "تطورت عن حالات

(١) السابق: ص١٤٢ ص١٥٣.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٧٨، ١٧٩.
(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص٦.

بدائية"، وقد علمنا فيما سبق أنه يزعم حضور هذه الفكرة فى الجماعات البشرية منذ ألفى سنة فقط، فهل يعتبر أن ما قبل الألفى سنة هو الذى يشكل فى نظره "الحالات البدائية"؟، إننى أرى أن تناقضه وجهالته هنا لا يستحقان التعليق!!!، مع الأخذ بعين الاعتبار أن تاريخ العمران البشرى موغل فى القدم، وليس قاصرا على هذه الفترة الزمنية القصيرة التى حددها كبداية لظهور "فكرة الله" حسب زعمه، ومن ناحية أخرى يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع، ويضم ذاته المتضخمة مع المتخصصين فى الأديان والعقائد، فيقول "ونحن نعلم مع رجال الأديان.."، وهذا وهم كبير، وكذب مفضوح فمن من رجال الأديان والعقائد يقر هذا السفيه على زعمه هذا عن تطور الألوهية عن حالات بدائية؟، ولعله فى ذلك كان تابعا لدوركايم الذى جعل هذه الفكرة مقدمة من مقدمات مذهبه الاجتماعى الذى يصل فى النهاية إلى أن الدين نشأ فى الأرض، وليست له صلة بالسماء، ولسنا بصدد تحليل وجهة نظر دوركايم أو نقدها، وهذه المقدمة ترى "أن خير وسيلة لتفسير ظاهرة معقدة كالظاهرة الدينية أن تدرس فى بداية نشأتها قبل أن تخالطها عناصر غريبة عنها؛ وأن ذلك إنما يكون بيئات الأمم البدائية"[١] ، ومن خلال متابعة نظرية دوركايم نتعرف على أن هذه الأمم البدائية موغلة فى القدم، وليست قريبة من هذا المدى الزمنى القصير الذى حدده أدهم بألفى سنة فى مقابل وجود الجنس البشرى على الأرض، ورغم ذلك فإن الباحثين الجادين قد بدأوا يتعاملون مع مصطلح البدائية بشئ من التحفظ، أو كما يقول د. دراز: "لقد مضى الزمن الذى كانت فيه كلمة "البدائيين" تستعمل بسهولة ويظن أنها على شعوب موجودة بالفعل باقين على فطرتهم الأولى لم يمروا بطور من أطوار الحضارة، واليوم وقد زال هذا الوهم من النفوس أصبح كل كاتب يحترم نفسه لا يستسيغ أن يكتب هذه الكلمة إلا إذا وضعها بين أقواس صغيرة للإشارة إلى أنها كلمة اصطلاحية ينقلها عن غيره ولا يحمل هو تبعتها"[٢] ، والدكتور دراز معه كل الحق فى هذه الملاحظة؛ لأن هذا المصطلح مرتبط بالنظريات التى قطعت

(١) الدين ص١٥٨، ١٩٥.
(٢) السابق: نفسه.

الصلة بين البشرية وبين خالقها فى أصل نشأتها، وفى دينها، ولغاتها، وحضاراتها عندما طرحت فروضا مصادمة للرؤية الدينية الصحيحة، وأخطرها نظرية التطور المرفوضة دينيا، المفتقرة إلى اليقين العلمى الذى يوصل إلى الحد الأدنى من الاطمئنان لنتائجها المشكوك فيها، ومثلما كان أدهم تابعا لدوركايم فى قوله بدء الاعتقاد بالألوهية عند الأمم البدائية كان تابعا لمولر فى ربطه بين نشأة الدين وبين الظواهر الطبيعية، فهو عندما يحكم بأن فكرة الله شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية إنما كان يقتفى آثار ماكس مولر "أشهر مقررى هذه النظرية التى ترى أن العامل الأول فى إثارة الفكرة الدينية كان هو النظر فى مشاهد الطبيعة، ولا سيما الأفلاك والعناصر ، وقد وجد مولر أن أسماء الالهة فى الغالب هى أسماء لتلك القوى الطبيعية العظيمة كالسماء والنار ونحوهما"[١] ، وفى ذلك يقول مولر: "منذ أول نظرة يلقيها الناس على الطبيعة لاشئ كان يبدو له أقل طبيعية من الطبيعة ذاتها، فكانت الطبيعة عندهم الدهشة العظمى والفزع الأكبر، كانت عجيبة من العجائب ومعجزة من المعجزات دائمة...

ومن المعلوم أن من هذا النطاق الواسع – الطبيعة– كانت ميدانا لعواطف الدهشة والخوف. إن هذه المعجزة، إن هذا الأمر الخارق، هذا المجهول المتسع المقابل لما هو معروف لدينا – إن هذا– هو ما أعطى للفكر الدينى وللغة الدينية أساسها الأول [٢]".

إننا كلما تعمقنا فى البحث وجدنا أن إسماعيل أدهم كان حاطبا بليل يأخذ من المذاهب المسابقة كل ما يؤيد وجهة نظره ويدعمها، وكل ما يتأدى به إلى الوصول إلى غايته الوحيدة، وهدفه الرئيسى وهو الإلحاد، وهو هنا فى حديثه عن فكرة الله قام باقتباس معظمها عن المدرسة الاجتماعية من خلال أخذه عن رائدها الأول دوركايم، والمدرسة الطبيعية من خلال أخذه عن رائدها ماكس مولر حتى المفردات المعبرة عن الحالات الشعورية قام بالسطو عليها دون الإحالة إلى أصحابها.

(١) السابق: ص١١٩، ١٢٠.
(٢) على سامى النشار: نشأة الدين ص٧٢، ٧٣.

إنه كذوب بادعائه العلم والمعرفة حيث ثبت أنه لا علم عنده ولا معرفة وخصوصا فى ميدان العقائد، وتأتى أقوال المتخصصين تدك بنيانه من القواعد، ولنأخذ طائفة سريعة من الأقوال التى تربط بين الإنسان منذ نشأته وبين التدين عامة والإلهيات خاصة، يقول معجم لاروس للقرن العشرين: "إن الغريزة الدينية: مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهى، وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات الخالدة للإنسانية"(١).

ويقول الدكتور دراز: " الفكرة الدينية تعبر عن حاجات النفس الإنسانية فى مختلف ملكاتها ومظاهرها، حتى إنه كما صح أن يعرف الإنسان بأنه "حيوان مفكر" أو بأنه "حيوان مدنى بطبعه" يسوغ لنا كذلك أن نعرفه بأنه "حيوان متدين بفطرته"(٢)، وحول نفس المعنى يقول الدكتور إمام عبد الفتاح إمام: "إذا كان أرسطو قد عرف الإنسان بأنه "حيوان ناطق" أى مفكر فقد عرفه غيره بأنه "حيوان متدين" فذهب هيجل -مثلا- إلى "أن الإنسان وحده هو الذى يمكن أن يكون له دين"؛ ذلك لأن التدين عنصر أساسى فى تكوين الإنسان، والحس الدينى إنما يكمن فى أعماق كل قلب بشرى بل هو يدخل فى صميم ماهية الإنسان، مثله فى ذلك مثل العقل سواء بسواء"(٣).

وكما قلنا فيما سبق: ما كان أحراه أن يوظف قدراته للمحافظة على عقيدته الدينية، أو ترسيخها وتعميقها بالدراسات الرياضية والطبيعية، أو على الأقل للعودة إليها بعد أن انسلخ منها كما عاد سواه، ومنهم هنرى لنك الذى كانت له تجربة إلحادية فريدة عاد منها إلى تدينه الذى كان عليه، وقد كان فى بداية إلحاده شبيها بأدهم حيث تسبب العلم فى خروجه عن الدين إلا أنه -بالعلم أيضا- عاد إلى الدين، وفى ذلك يقول: "وكما جرفنى العلم قديما بعيدا عن الدين كانت عودتى إليه أيضا عن طريقه هو"(٤)؛ ولذلك كانت عودته إلى الدين قوية جارفة، ومن هنا كانت رؤيته

(١) الدين ص٨٤.

(٢) السابق: ص١٠٠.

(٣) جفرى بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٧ من مقدمة المترجم.

(٤) هنرى لنك: العودة إلى الإيمان ص١٨ ترجمة د.ثروت عكاشة.

للدين باعتباره "الإيمان بوجود قوة ما كمصدر للحياة، هذه القوة هى قوة الله، مدبر الكون، خالق السماوات، وهو الاقتناع بالدستور الخلقى الإلهى الذى سنه الله فى كتبه المتعاقبة، واعتبار التعاليم السماوية أثمن كنز تغترف منه الحقائق الدينية التى هى أسمى فى مرماها من العلوم كلها مجتمعة، والقيم الخلقية التى هى أقوى فى أساسها من نظرية العقل والسببية"(١).

فإذا تعرفنا على الخلفية الثقافية هنرى لنك اندهشنا لهذا التشابه العجيب الذى يصل إلى حد التطابق فيما بينه وبينه إسماعيل أدهم حتى فى المفردات اللغوية بيد أن النهايات كانت متغايرة تماما، يعرفنا لنك بالعالم الذى يتسامى على الإدراك العقلى فيقول عنه:

"أما ما هو خارج عن هذه الدائرة الكبرى فهو مملكة الخرافات والعقائد والأوهام التى لا نملك عليها برهانا حيث تحوم "فكرة الله"، والمعتقدات الدينية فى هذه المنطقة غير المحدودة، فنحن لا يمكننا إثبات وجود الله كما لا يمكن إثبات عدم وجوده، وقياسا على ذلك لا يسع المرء اللبيب إلا أن يقول: "أنا لا أعرف أعنى أن يكون لاأدريا"(٢).

وقد سبق إيراد تساؤل أدهم الذى قال فيه: "هل عدم قيام الأدلة على عدم وجود الله مما يدفع المرء للاأدرية؟" ثم تجاوزها إلى إعلان الإلحاد الذى لم يعد منه إلى الإيمان كما عاد سواه بل عاش فيه وارتضاه إلى أن مات عليه.

ثانيا: فكرته عن السببية:

نأتى الآن لعرض وتحليل فكرة إسماعيل أدهم عن السببية، وإن تعجب فعجب اعترافه بسبب وجود الكون، ولكن يتضاعف العجب إذا عرفنا أنه يعتقد بأن هذا السبب يتضمنه الكون، وأنكر ما عداه، اقرأ وتأمل تعريفه للإلحاد بأنه "هو الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون فى ذاته، وأن ثمة لا شئ وراء هذا العالم"(٣).

وقبل أن أقوم بتحليل هذا التعريف، ووضعه فى سياقه، وفى موقعه داخل الإطار العام لفكرته عن السببية، أود التذكير بأن الهدف الرئيسى، والغرض النهائى لهذا التعريف هو إنكار

(١) السابق: ص٢٥.

(٢) السابق: ص٢١.

(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص٥.

وجود الله سبحانه وتعالى ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1].

وقد صنع أدهم مثلما صنع الشيوعيون الذين "أهدروا قانون السببية حين ادعوا أن المادة خلقت نفسها، ثم خلقت غيرها من الكائنات، وذهبوا إلى أن المادة مكتفية بنفسها دون احتياج إلى سبب أو علة أولى تفسر إيجادها فهى إذن "مسبب لا سبب له"!!، كما وقف الشيوعيون عند القول بأن المادة مكتفية بنفسها غير محتاجة إلى سبب خارج عنها فرارا من الإيمان بالله؛ لأن الخطوة الأولى بعد هذا لابد أن تفضى إلى " الإيمان"، وهو أعدى أعداء الشيوعيين، فهاهم قد كفروا بالسبب، وزعموا أن "المادة مسبب لا سبب له، أو هى السبب والمسبب فى آن واحد"[2].

وفى معرض إيراده للأدلة العقلية على وجود الله تعالى يسوق أستاذنا الدكتور أحمد الطيب اعتراضا مفترضا على دليل الحدوث يتفق مع زعم أدهم باكتفاء الكون بذاته، والاستغناء عن أى سبب خارجى، وكأنه المقصود بهذا الاعتراض: "ومن الممكن أن يغالطك ملحد، ويقول لك: إننى أتفق معك فى أن الأشياء قد وجدت بعد عدم، وأتفق معك فى أنها بحاجة إلى موجد؛ لأن قانون السببية يوجب ذلك، ولكن أختلف معك فى أن يكون الموجد للكون ذاتا إلهية مستقلة ومنفصلة عن الكون.

لم لا يكون موجد الكون هو نفس الكون، ويكون العالم قد أوجد نفسه؟!"[3].

ويجاب على هذه الاعتراضات بالآتى:

١- افتراض أن يكون العالم أوجد نفسه مساو تماما لافتراض أن العالم مخلوق وخالق فى آن واحد.

٢- والعالم باعتباره علة خالقة لابد أن يكون موجودا، وباعتباره معلولا لابد أن يكون معدوما.

٣- لايمكن أن يكون العالم موجودا ومعدوما فى آن واحد.

فلا يصح عقلا أن يكون المخلوق خالقا كما لا يصح عقلا أن يكون الخالق

(١) سورة الكهف: الآية ٥.

(٢) د.عبد العظيم المطعنى: الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة ص٣٣١.

(٣) د.أحمد الطيب: بحوث فى الثقافة الإسلامية ص٢٤٢.

مخلوقا[1]. فإذا عدنا إلى أدهم الذى اعترف بالسبب، وأقر بالسببية ولكنه فى نفس الوقت جعلها متضمنة فى الكون ذاته؛ وهو بذلك يتمرد على القاسم المشترك العقلى بين العقلاء؛ لأننا "إذا نظرنا إلى أصول الأسباب الكبرى تعذر على العقل أن ينسب الظواهر الطبيعية إلى هذه الأسباب التى تلازمها ثم يقف عندها، فمن العسير على العقل أن يسلم أن الظواهر المادية هى أسباب الحوادث بطبيعة مستمدة منها ملازمة لها، مستقرة فيها؛ لأن التسليم بهذا تسليم بوجود مئات أو ألوف من المادات كلها خالد، وكلها موجود بذاته، وكلها مع ذلك مؤثر فى غيره وهو مستحيل.

فهل هناك ألوف من المادات، أو هناك مادة واحدة؟

إن كان هناك ألوف من المادات كلها خالد بصفاته وطبائعه فمن العجيب فى العقل أن يكون الخالد مؤثراً فى خالد مثله، وأن يوجد الشئ منذ الأزل بطبيعته وخصائصه ليؤثر فى شئ آخر موجود مثله منذ الأزل بغير تلك الخصائص وغير تلك الصفات.

أما إن كانت هذه الخصائص تحولات ترجع إلى مادة واحدة فى القدم فقد بطل أنها هى أسباب الحوادث بطبعها، وتعين أن تكون عارضة مؤثرة بما أودع فيها على حسب تلك التحولات التى ترجع فى النهاية إلى مصدر واحد لا تعدوه.

فالعقل ينتهى فى مسألة الأسباب إلى نتيجة واحدة تصح عنده بعد كل نتيجة: وهى أن الأسباب ليست هى موجدات الحوادث، والا هى مقدمة عليها بقوة تخصها دون سائر الموجودات، ولكنها مقارنات تصاحبها ولا تغنى عن تقدير المصدر الأول لجميع الأسباب وجميع الكائنات"[2].

ونظرية السببية لها حضورها الواضح فى الفكر الإنسانى عامة، وفى الفكر الإسلامى والفلسفة الحديثة خاصة، ومن أشهر من فصل القول فيها عند الإسلاميين الاتجاه الأشعرى وخصوصا عند الإمام الغزالى، ومن أشهر من أفاض فيها فى الفلسفة الحديثة هيوم.

(١) السابق: نفسه.

انظر أيضا: الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة للدكتور المطعنى ص٣٢٥.

(٢) عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية ص١٥.

ومن الإسلاميين المعاصرين العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز الذى جعلها مع قسيمتها "الغائية" من العوامل الأولى لإيقاظ العقيدة الدينية فى النفوس البشرية فيتحدث عن قانون السببية قائلا: "إنه يقرر أن شيئا من الممكنات لا يحدث بنفسه من غير شئ؛ لأنه لا يحمل فى طبيعته السبب الكافى لوجوده، ولا يستقل بإحداث شئ؛ لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئا لا يملكه هو[١]، كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد إيجابى فلابد له فى وجوده، وفى تأثيره من سبب خارجى، وهذا السبب الخارجى إن لم يكن موجودا بنفسه احتاج إلى غيره فلا مفر من الانتهاء إلى سبب ضرورى الوجود يكون هو مسبب الأسباب"[٢].

ومثلما كان إسماعيل أدهم شاذا فى إلحاده، كان أكثر شذوذا فى التسبيب لهذا الإلحاد، فقد نسب السببية إلى العلم وأطلق عليها اسم "السببية العلمية"، وينتهى من خلال الإغراب فى الطرح إلى القول بالاحتمال والصدفة فى خلق العالم، وفى ذلك يقول: "إن العالم الخارجى (عالم الحادثات) يخضع لقوانين الاحتمال.

فالسنة الطبيعية لا تخرج عن كونها اشتمال القيمة التقديرية التى يخلص لها الباحث من حادثة على ما يماثلها من حوادث.

والسببية العلمية لا تخرج فى صميمها عن أنها وصف لسلوك الحوادث وصلاتها بعضها ببعض"[٣].

وهو هنا فى هذا النص يتسق مع منهجه، ويتفق مع غايته النهائية من هذا المنهج وهى إنكار وجود الله عز وجل، ولكنه فى نفس الوقت يصادم بداهة العقل وكلامه عن السنة الطبيعية كلام غير دقيق؛ لأنه لايعدو أن يكون مشابها للاستقراء الناقص فى المنطق، ولا يمكن تطبيق حادثة واحدة على ما يماثلها من

(١) انظر ما قاله الدكتور المطعنى ساخرا من الفكر الساقط للشيوعيين الذين جعلوا المادة خالقة فى قولهم: إن المادة الجمادية هى الخالقة لنفسها ولغيرها مما هو أعلى منها شأنا من نبات وحيوان وإنسان، فخالفوا كل معروف ومألوف، وأتوا بمنكر من القول وزورا حيث جعلوا فاقد الشئ معطيا له، وهذه مقولة من أشد المقولات فسادا؛ لأن فاقد الشئ لا يكون معطيا له بأية حال من الأحوال. الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة ص٣٢٤، ٣٢٥.

(٢) الدين ص١٠٩، ١١٠.

(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص٦.

حوادث لا فى بداهة العقل فى المنطق القديم حيث القياس، ولا فى المنطق الحديث حيث الملاحظة والتجربة التى تتطلب التكرار؛ لضمان سلامة القياس وصحة النتائج.

وكذلك الأمر بالنسبة لرؤيته للسببية العلمية التى يعتروها النقص، لأنه تعريف وصفى اقتصر على وصف العلاقات بين الحوادث أو بين الظواهر فقط دون البحث عما عساه أن يكون مسببا لها أو مؤثرا فيها، وهو دأبه وديدنه حيث الهروب من كل ما من شأنه أن يضعه وجها لوجه مع السبب الأول، وهو الخالق عز وجل الذى أجاد الفرار منه ولكن إلى سقر.

ومازلنا مع أدهم فى تخرصاته وإطلاقاته الجوفاء التى حاول إضفاء السمة العلمية عليها للتلبيس على قرائه، فيقول فى خيلاء وغرور: "وقد نجحنا فى ساحة الفيزيقا (الطبيعيات) فى أن نثبت أن (أ) إذا كانت نتيجة للسبب (ب) فإن معنى ذلك أن هناك علاقة بين الحادثتين (أ) و (ب)، ويحتمل أن تحدث هذه العلاقة بين (أ) و (ج) وبينها وبين (د) و (هـ) فكأنه يحتمل أن تكون نتيجة للحادثة (ب) وقتا، وللحادثة (ج) وقتا آخر، وللحادثة (د) حينا، وللحادثة (هـ) حينا آخر.

والذى نخرج به من ذلك أن العلاقة بين ما نطلق عليه اصطلاح السبب وبين ما نطلق عليه اصطلاح النتيجة تخضع لسنن الاحتمال المحضة التى هى أساس الفكر العلمى الحديث"[١].

إذن فقد وصل هذا الملحد إلى إخضاع الأسباب والنتائج إلى ما أسماه سنن الاحتمال المحضة، وجعل هذه السنن أساس الفكر العلمى الحديث، وإن المرء ليندهش من هذا الفكر العجيب حيث كلما اقترب صاحبه من الهدى أسرع للفرار منه، فقد كان فى قوله بارتباط الأسباب والنتائج تحت قانون "السببية العلمية" يعانى من خلل فكرى؛ لأن الاقتران بينهما ليس حتميا، "فالإمام الهروى الأنصارى يرى الاقتران بين السبب والنتيجة اقترانا عاديا، لا يفسر إلا من خلال جريان العادة بذلك، والإمام الغزالى يقول بانعدام الضرورة بينهما وجودا وعدما، وفى الفلسفة الحديثة يرى هيوم أن قانون العلية مجرد عادة ذهنية تنشأ عن الناس كلما رأوا

(١) السابق: نفسه.

حادثتين مطردتى الوقوع أو متتابعتين فنشأ من هذا فى أذهانهم اعتقاد بأن اللاحق يعقب السابق.

وإذا اختلت هذه الحتمية بإرجاعها إلى العادة الذهنية يختل بالتالى مبدأ التعميم الذى يأخذ به البحث العلمي إذ يستند إلى الاستقراء، والاستقراء لا يتيسر فيه ملاحظة كل فرد من أفراد الظاهرة فى كل زمان ومكان"..[١].

وهذا فقد اقترب من الصواب عندما خرج من القول بالسببية العلمية التى أراد من خلالها الربط بين السبب والنتيجة إلى القول "بسنن الاحتمال"، إلا أنه أهدر فرص النجاح المتاحة، وسرعان ما غير موقفه عندما تجاوز سنن الاحتمال أو قانون الاحتمال وتحول فجأة إلى القول بقانون الصدفة.

"إن القول باحتمالية القوانين الطبيعية له حضوره فى الفلسفة المعاصرة وخصوصا فى الوضعية المنطقية التى يرى بعض رجالها انتفاء القول بالضرورة فى هذه القوانين الطبيعية، مستشهدا على ذلك بقانونين من القوانين التى تعتمد عليها أغلب العلوم الضرورية هما:

قانون الاستقراء

وقانون السببية... منتهيا إلى أن فكرة الضرورة لا وجود لها فى أى منهما.

فالاستقراء لا يعتبر طريقة صحيحة للتفكير سواء كان تفكيرا علميا أو غيرعلمي. والسببية ليست هناك ضرورة عقلية أو تجريبية تبرر ارتباط ما نسميه بالسبب بما يسمى بالمسبب لمجرد أن أحدهما يسبق الآخر أو يتلوه"[٢].

فلو كان لدى إسماعيل أدهم الحد الأدنى من التوفيق لتوقف عند القول بالاحتمال، لكان آنئذ منسجما مع طرح العقول السليمة، والرؤية العلمية الصحيحة، لكن أنى له ذلك وقوله بالاحتمال يتادى به – شاء أم أبي- إلى ما وراء الطبيعة، ويجعله وجها لوجه مع عالم الغيب حيث يضطر اضطرارا للإقرار بوجود الخالق جل وعلا، وهنا أفلت كعادته، وانتقل دون مبرر عقلى أو علمي من قانون الاحتمال إلى قانون الصدفة؛ لأنه سينطلق من خلاله إلى ما شاء له خياله، وزينه له ضلاله من إفك وبهتان لإنكار الواحد الديان.

إلا أنه لم يثبت على قانون الصدفة بل كان يعود إلى القول باحتمالية الوجود والطبيعة، فكان ينتقل من الاحتمال إلى الصدفة ثم يعود إلى الاحتمال من جديد كلما وجد ثقبا يتسلل منه إلى غرضه الخبيث وهو الإلحاد، ولما كان قد انتهى به المآل إلى القول بالصدفة فى هذا النص فإننا على موعد الآن مع الفكرة الرابعة والأخيرة فى هذا المبحث وقد حان موعد الحديث عنها الآن.

ثالثا: إيمانه بالصدفة:

يبدأ إسماعيل أدهم حديثه عن الصدفة بتساؤل عن معناها، ثم لا يتولى الإجابة بنفسه، بل يقوم بنقل التعريف عن هنرى بوانكاريه[١] الذى يقول فيه: "إن الصدفة تخفى جهلنا بالأسباب، والركون للمصادفة اعتراف بالقصور عن تعرف هذه الأسباب: "ثم يعلق على هذا التعريف قائلا: "والواقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكاريه فى اعتقاده منذ تفتح العقل الإنسانى غير أنى من وجهة نظر رياضية أجد للصدفة معنى غير هذا، معنى دقيقا بث للمرة الأولى فى تاريخ الفكر الإنسانى، وهذا المعنى لا تؤتينى الألفاظ العادية للتعبير عنه؛ لأن هذه الألفاظ ارتبطت بمفهوم السبب والنتيجة؛ لهذا سنحاول أن نحدد المعنى عن طريق ضرب الأمثلة"[٢].

وإننى أستأذن القارئ لحظات قبل أن نتعرف على هذه الأمثلة لنورد – الآن- قولا آخر لهذا الملحد يبرهن به على صعوبة النظر إلى العالم بعيدا عن السبب والنتيجة، وإخضاعه لقانون الصدفة الشامل؛ وذلك "لأن مفهوم الكلام رياضى صرف، ومن الصعب التعبير فى غير أسلوبه الرياضى، وليس كل إنسان رياضيا عنده القدرة على السير فى البرهان الرياضى"[٣].

نعود الآن إلى ضرب الأمثلة الذى أراد به هذا الملحد شرح معنى الصدفة

---

(١) د.يحي هاشم حسن فرغل: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ص٨٩، ٩٠ بتصرف.

(٢) السابق: ص٩٠، ٩١ بتصرف.

(١) هنرى بوانكاريه (١٨٥٤-١٩١٢م) من رجال المدرسة الفلسفية فى فرنسا من مؤلفاته "العلم والفرض"، و"قيمة العلم"، و"العلم والمنهج"، و"خواطر أخيرة".
انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم ص٤٣٧.

(٢) لماذا أنا ملحد؟ ص٧.

(٣) السابق: ص١٠.

الذى ظل غامضا منذ فجر التاريخ حتى قام -هو- بإيضاحه، وسترى معى أنه بعد ما أرهق نفسه كان كمن فسر الماء بالماء!!، وأرجو من القارئ الكريم الاحتفاظ بأعصابه، وهو يتابع معنا هذا المثال الذى ساقه ذلك المهزار حيث يقول: "لنفرض أن أمامنا زهر النرد ونحن جلوس حول مائدة، ومعلوم أن لكل زهر ستة أوجه، فلنرمز لكل زهر بالوجه الآتى فى كل من الزهرين:

يك : دو : ثه : جهار : بنج : شيش

ل١ : ل٢ : ل٣ : ل٤ : ل٥ : ل٦ فى زهر النرد الأول

ك١ : ك٢ : ك٣ : ك٤ : ك٥ : ك٦ فى زهر النرد الثانى

وبما أن كل واحد من هذه الأوجه محتمل مجيئه إذا رمينا زهر النرد، فإن مبلغ الاحتمال لهذه الأوجه يحدد معنى الصدفة التى نبحثها.

إن نسبة احتمال هذه الأوجه تابعة لحالة اللاعب بزهر النرد، ولكن أن نتساءل: ما نسبة احتمال هذه الأوجه تحت نفس الشرائط؟

فمثلا لو فرضنا أنه فى المرة "ن" كانت النتيجة هى:

ل٦× ك٦= شيش × شيش= دش فما أوجه مجئ الدش فى المرة (ن+س)؟

إذا فرضنا أن الحالة الاجتماعية هى "ح" كان لنا أن نخلص من ذلك بأن اللاعب إذا رمى زهر النرد (ن=س) من المرات، وكان مجموعها مثلا ٣٦ مرة فاحتمال مجئ الدش هنا فى الواقع= ١/(ن+س).

وبما أن ق+س= ٣٦ مرة فكان النسبة الاحتمالية هى ٣٦/١ فإذا أتى الدش مرة من ٣٦ مرة لما عد ذلك غريبا؛ لأنه محتمل الوقوع، ولكن ليس معنى ذلك أن الدش لابد من مجيئه؛ لأن هذا يدخل فى باب آخر قد يكون باب الرجم"[١].

وكلما عظم مقدار "س" فى المعادلة (ن+س) تحدد مقدار "ح" أى النسبة الاحتمالية، وذلك خضوعا لقانون الأعداد العظمى فى حسابات الاحتمال.

ومعنى ذلك أن قانون الصدفة يسرى فى المقادير الكبيرة، مثال ذلك أن

---

(١) قالها هكذا: من باب الرجم، ولم يتم الإضافة كما وردت فى القرآن الكريم "رجما بالغيب" سورة الكهف: الآية ٢٢؛ لأن الكلمة وقفت فى حلقه فلم يستطع النطق بها؛ لعدم إيمانه بالغيب!!.

عملية بتر الزائدة الدودية نسبة نجاحها ٩٥%، فلو فرضنا أن مائة مريض دخلوا أحد المستشفيات لإجراء هذه العملية فإن الجراح يكون مطمئنا إلى أنه سيخرج بنحو ٩٥ حالة من هذه العمليات بنجاح فإذا ما سألته: يا دكتور ما نسبة احتمال النجاح فى هذه العملية فإنه يجيبك ٩٥ فى المائة، ويكون مطمئنا لجوابه، ولكنك إذا سألته: يا دكتور ما نسبة احتمال النجاح فى العلمية التى ستجريها لفلان؟ فإنه يصمت ولا يجيبك، لأنه يعجز عن معرفة النسبة الاحتمالية.

هذا المثال يوضح معنى القانون فى أنها -يقصد الصدفة- تتصل بالمقادير الكبيرة، والكثرة العددية، ويكون مفهوم سنة الصدفة وجه الاحتمال فى الحدوث، ويكون السبب النتيجة من حيث هما مظهران للصلة بين حادثتين فى النطاق الخاضع لقانون العدد الأعظم الصدفى حالة إمكان محض.

ومعنى هذا أن السببية صلة إمكان بين شيئين يخضعان لقانون العدد الأعظم الصدفى، فمثلا لو فرضنا أن الدش أتى مرة واحدة من ٣٦ مرة أعنى بنسبة ٣٦: ١ مرة ففى الواقع نحن نكون قد كشفنا عن صلة إمكان بين زهر النرد ومجئ الدش، وهذا قانون لا يختلف عن القوانين الطبيعية فى شئ.

إذا يمكننا أن نقول إن الصدفة التى تخضع العالم لقانون عددها الأعظم تعطى حالات إمكان، ولما كان العالم لا يخرج عن مجموعه من الحوادث ينتظم بعضها مع بعض فى وحدات تتداخل وتتناسق ثم تنحل وتتباعد لتعود من جديد لتنتظم..، وهكذا خاضعة فى حركتها هذه لحالات الإمكان التى يحددها القانون الأعظم الصدفى.

ومثل العالم فى ذلك مثل مطبعة فيها من كل نوع من حروف الأبجدية مليون حرف وقد أخذت هذه الحروف فى الاصطدام فتجتمع وتنتظم ثم تتباعد وتنحل هكذا فى دورة لا نهائية، فلا شك أنه فى دورة من هذه الدورات اللانهائية لابد أن يخرج هذا المقال الذى تلوته الآن، كما أنه فى دورة أخرى من دورات اللانهائية لابد أن يخرج كتاب "أصل الأنواع"، وكذا "القرآن" مجموعا منضدا مصححا من نفسه.

ويمكننا إذا أن نتصور أن جميع المؤلفات التى وضعت ستأخذ دورها فى الظهور خاضعة لحالات احتمال وإمكان فى اللانهائية، فإذا اعتبرنا "ح" رمزا لحالة

الاحتمال، و "ص" رمزا للنهائية كانت المعادلة الدالة على هذه الحالات:

ح= ص

وعالمنا هذا لايخرج عن كونه كتابا من هذه الكتب، له وحدته ونظامه وتنضيده إلا أنه تابع لقانون الصدفة الشاملة"[١].

وقبل أن أتناول هذا النص بالتحليل والتعليق أعلن عن اعتذارى لطوله، ولم يكن أمامى مفر من اقتباسه كله حتى تكون رؤيته واضحة أمام أعين القراء الكرام، وحتى لا نتهم بهذه التهم الجاهزة سابقة التصنيع من عينة: التفتيش فى ضمائر الناس، وبتر النصوص، أو إخراجها من سياقها.. إلى آخر هذه التهم الباطلة؛ ولهذا أكرر ها هو النص بتمامه وكماله أمام الجميع دون أن نزيد عليه أو ننقص منه حرفا واحدا، وقبل كل شئ أود لفت الأنظار إلى هذه العملية التافهة التى قام من خلالها إسماعيل أدهم بشرح قانون الصدفة، والتى اختار فيها لعبة الطاولة[٢] للتعبير من خلالها عن هذا القانون الذى يفسر –من وجهة نظره– خلق العالم.

أرأيت عزيزى القارى إلى أية درجة بلغ الاستخفاف بهذا المسخ، قضية خلق العالم التى هى أهم القضايا الكونية لارتباطها بوجود الخالق عز وجل استنزلها هذا الملحد من سياقها الأسمى، وهبط بها إلى دركها الأسفل إلى ميدان اللهو واللعب، قضية بهذا الحجم، وبهذا القدر من الخطورة أصبحت كلعبة الطاولة، وكأن لسان حاله يقول: هيا بنا نلعب!!، ورغم هزله فقد كانت أمامه فرصة للعودة إلى الهدى من خلال المثال الذى اختاره بل والمثال التالى له كما سنوضح فيما بعد.

ولن ندخل معه فى مهاتراته، ولن نشترك معه فى لعبته المختارة ولن نجلس معه إلى مائدتها بل سندخل مباشرة إلى ما ختم به المثال فى قوله :" فإذا أتى الدش مرة من ٣٦ مرة لما عد ذلك غريبا؛ لأنه

(١) لماذا أنا ملحد؟ ص٧، ٨ ، وللمصادفة أنواع منها: المصادفة المطلقة والمصادفة النسبية، فالمطلقة أن يوجد شئ بدون سبب إطلاقا، والنسبية تعبرعن غياب القصد المدبر، والمصادفة المطلقه مستحيلة، لأنها تتعارض مع مبدأ النسبية، والنسبية ليست كذلك... انظر: مفهوم الاحتمال فى فلسفة العلم المعاصرة د.حسين على ص١٦٤.

(٢) لعبة الطاولة: زهر النرد، انظر: المعجم الوجيز_إصدار مجمع اللغة العربية.

محتمل الوقوع، ولكن ليس معنى ذلك أن الدش لابد من مجيئه؛ لأن هذا يدخل فى باب آخر قد يكون باب الرجم"، وهنا ننبه على هذه الثغرة الكاشفة عن عورة هذا المثال الذى أتى به للبرهنة على خلق العالم بناء على قانون الصدفة، وهى اعترافه بانعدام الضرورة فى مجئ الدش؛ لأن الأمر لا يعدو دائرة الاحتمال فقط، وشجاعته بهذا الاعتراف توازت مع جبنه عن الاعتراف بالخالق عز وجل الذى اكتفى معه بالفرار –كما هى عادته– متذرعا بأن القول بالضرورة يدخل فى باب الرجم بالغيب، إلا أنه جبن عن نطق كلمة الغيب؛ لعدم إيمانه به وهو أول باب من أبواب الدخول إلى العقيدة الصحيحة.

نأتى إلى المثال الثانى وهو: جراحة استئصال الزائدة الدودية، واحتمالات نسب النجاح فيها، ونكتفى بإحدى الفرضيات التى ساقها فى صيغة سؤال للطبيب الذى يقوم بهذه الجراحات: ما نسبة احتمال النجاح فى العملية التى ستجريها لفلان؟! فإنه يصمت ولا يجيبك؛ لأنه يعجز عن معرفة النسبة الاحتمالية، وإن أدهم كان وسيبقى أولى بالعجز من هذا الطبيب؛ لأنه يتحدث عن قصه الخلق، أو عن قضية الخلق التى يجهل كل شئ عنها على مايزعمه من باب التخرص والتخمين، والافتراضات الرياضية، والأمثلة الهزلية التى استعاض من خلالها باللعب عن الجد، وارتضى اللهو بديلا عن العلم.

فإذا كان الطبيب يستطيع الإجابة عن نسبة الاحتمال إذا اتسمت بالعموم، ويعجز عن الإجابة إذا ضاقت الدائرة فإن أدهم أكثر عجزا منه؛ لأن قضية الخلق لا يجوز معها التخمين، ولا يصلح إخضاعها للصدفة، ولا ينبغى التعامل معها بقانون الاحتمالات، وكان الأولى بإسماعيل أدهم أن يعلن عن عجزه هو بدلا من عجز الطبيب، ولكن هيهات أن يصنع ذلك وقد طبع الله تعالى على قلبه، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[١].

ولكي ييسر لنفسه الإفلات من هذا المأزق العقلي الواضح فإنه يقوم بالفرار من المواجهة بحجة أن نسبة الاحتمالات، وصلاحية قانون الصدفة تعملان فى الأعداد الكبيرة فقط دون الأعداد الصغيرة، ثم قام باختراع قانون

(١) سورة غافر: الآية ٣٥.

وهي لم يقل به سواه، وهو ما أسماه "قانون العدد الأعظم الصدفي" !!، وهذا القانون هو الذى يبرر به عجزه عن مواجهة الحقائق الكبرى؛ حيث إنه لم ينجح فى المواجهة، فبحث عن النجاح عن طريق اجترار القول بهذا القانون العجيب، فهو يقول مثلا: ".. وكلما عظم مقدار "س" فى المعادلة (ن + س) تحدد مقدار "ح" أى النسبة الاحتمالية، وذلك خضوعا لقانون الأعداد العظمى فى حسابات الاحتمال، ومعنى ذلك أن قانون الصدفة يسرى فى المقادير الكبيرة".

وهو بهذا الزعم يقف ضد العقل وضد العلم وضد الرياضيات، يقول الشيخ نديم الجسر: "متى تضخمت النسبة العددية تضخما هائلا يصبح حظ المصادفة فى حكم العدم [1] (٥١)" على عكس ما ادعاه ذلك المغرور، ثم يزيد الشيخ الجسر القضية وضوحا بقوله: "لو فرض أنك تملك مطبعة فيها نصف مليون حرف مفرقة فى صناديقها فجاءت هزة أرضية قوية قلبت صناديق الحروف على بعضها وبعثرتها وخلطتها، ثم جاءك منضد الحروف يخبرك أنه قد تألف من اختلاط الحروف بالمصادفة عشر كلمات متفرقة غير مترابطة المعاني فهل كنت تصدق ؟.

- نعم أصدق.

- ولكن لو قال لك: إن الكلمات العشر تؤلف جملة كاملة مفيدة، فهل كنت تصدق؟.

- أستبعد ذلك جدا، ولكن لا أراه مستحيلا.

- ولكن لو أخبرك أن حروف المطبعة بكاملها كونت عند اختلاطها بالمصادفة كتابا كاملا من (٥٠٠) صفحة ينطوى على قصيدة واحدة تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة متلائمة منسجمة بألفاظها وأوزانها وقوافيها ومعانيها ومغازيها فهل كنت تصدق ؟.

- أبدا لا أصدقه.

- أتدرى لماذا ؟ ؛ لأن التراحم بين حروف الكتاب يجرى بين (٥٠٠) ألف حرف على تكوين (١٢٥) ألف كلمة تقريبا بأشكال وترتيبات لا تعد ولا تحصى أبدا، وهذا ما يجعل حظ المصادفة بنسبة واحدة ضد عدد هائل جدا جدا لو قلت عنه: إنه مليار مليار

(١) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص٢٩٤.

مليار مليار لكان قليلا... فإذا كان هذا فى كتاب المطبعة، وكلماته المحدودة المعدودة فما قولك فى كتاب الله الأعظم، وكلماته التى يقول عنها جلت قدرته: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1] "، ويقول: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ...﴾[2] [3].

ويسوق الأستاذ سعيد حوى نفس المثال، ويعلق عليه بقوله: " إن النتيجة هائلة لدرجة أن نسبة الاحتمالات فى حدوث ذلك لا تحيط بها أرقام اللغة.

ولكى نعرف معنى كلمة (٥٠٠) ألف حرف و (١٢٥) ألف كلمة و (٢٨) حرف هجائى لندرس هذا النص: "إن البروتينات من المركبات الأساسية فى جميع الخلايا الحية، وهى تتكون من خمسة عناصر هى: الكربون والهيدروجين والنيتروجين والأوكسجين والكبريت، ويبلغ عدد الذرات فى الجزئ البروتينى الواحد(٤٠٠٠٠) ذرة، ولما كان عدد العناصر الكيماوية فى الطبيعة (٩٢)[4] عنصرا موزعة كلها توزيعا عشوائيا، فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكى تكون جزيئا من جزيئات البروتين يمكن حسابه بمعرفة كمية المادة التى ينبغى أن تخلط خلطا مستمرا لكى تؤلف هذا الجزئ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكى يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزئ الواحد.

وقد قام أحد العلماء بحساب هذه العوامل جميعا فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزئ بروتيني واحد إلا بنسبة (١) إلى (١٠)^{160} أى بنسبة واحد إلى رقم (٦٠) مضروبا بنفسه (١٦٠) مرة، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات، وينبغي أن تكون كمية المادة التى تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة أكبر مما يتسع له الكون بملايين المرات [5] هذه العمليات المستحيلة تتحول استحالتها إلى إمكان

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٣) قصة الإيمان ... ص٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦ بتصرف.

(٤) كان ذلك سابقا على اكتشاف بعض العناصر الأخرى.

(٥) سعيد حوى: الله جل جلاله ص٢٤.

عند الملحد إسماعيل أدهم عن طريق اختراعه العجيب المرتبط بقانون الصدفة الرياضي، وهنا نستكمل التعليق ولكن من خلال حديث وحيد الدين خان: "إن جزئ البروتين يتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية وأخطر ما فى هذه العملية هو الطريقة التى تختلط بها هذه السلاسل بعضها مع بعض؛ فإنها لو اجتمعت فى صورة غير صحيحة لأصبحت سماً قاتلا بدل أن تصبح موجودة للحياة.

لقد توصل أحد العلماء إلى أنه يمكن تجميع هذه السلاسل فيما يقرب من ـــ صورة وطريقة، ثم يقول: إنه من المستحيل تماما أن تجتمع هذه السلاسل – بمحض الصدفة – فى صورة مخصوصة من هذه الصور التى لا حصر لها حتى يوجد الجزئ البروتينى الذى يحتوى أربعين ألف من أجزاء العناصر الخمسة.

ولابد أن يكون واضحا أن القول بالإمكان فى قانون الصدفة الرياضى لا يعنى أنه لابد من وقوع الحادث الذى ننتظره، وإنما معناه أن حدوثه محتمل لا بالضرورة، فمن الممكن على الجانب الآخر من المسألة أن لا يحدث شئ ما بعد تسلسل العملية إلى الأبد[1].

هذا الجزئ البروتينى ذو وجود "كيماوي" لا يتمتع بالحياة إلا عندما يصبح جزءا من الخلية؛ فهنا تبدأ الحياة، وهذا الواقع يطرح أهم سؤال: من أين تأتى الحرارة عندما يندمج الجزئ بالخلية؟!.

ولا جواب عن هذا السؤال فى أسفار المعارضين الملحدين.

إن من الواضح الجلىّ أن التفسير الذى يزعمه هؤلاء المعارضون متسترين وراء قانون الصدفة الرياضى لا ينطبق على الخلية نفسها، وإنما على جزء صغير منها هو الجزئ البروتينى وهو ذرة لا يمكن مشاهدتها بأقوى منظار بينما نعيش وفى جسد كل منا ما يربو على أكثر من مئات البلايين من هذه الخلايا!!!"[2].

ولكن هل آمن إسماعيل أدهم بوجود الله تعالى ذاته، وأقرّ به حتى يقتنع بهذه الاجتهادات العلمية المبنية على التجارب المعملية والمشاهدات العملية.

---

(1) وهذا ما أقر به الملحد إسماعيل أدهم، ولكنه لم يرتب على إقراره شيئا إيجابيا، أو أمراً إيمانيا!!.

(2) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص١٠٢، ١٠٣.

إنه لا يقتنع إلا بأفكاره هو، وتخرصات سادته وأساتذته من الضالعين فى الإلحاد أمثال هكسلى، وهيكل زميليه فى الإلحاد، وشقيقه فى النسب بانحدار ثلاثتهم من أصلاب القردة العليا اتساقا مع نظرية التطور التى يدينون بها جميعاً.

فهكسلى هذا يقول: "لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين فلا نستبعد أن نجد فى بعض الأوراق الأخيرة التى كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور فى المادة لبلايين السنين[1].

ويتفق هذا الخرف مع طرح إسماعيل أدهم فى النتيجة النهائية إلا أن هكسلى عزا ظهور قصيدة شكسبير إلى ضرب أجداده من القردة على الآلات الكاتبة بينما أدهم يقول بظهور القرآن وكتاب أصل الأنواع عن طريق الصدفة أو كما يسميه قانون العدد الأعظم الصدفي، وهيكل يقول: "ايتونى بالهواء وبالماء وبالأجزاء الكيماوية وبالوقت وسأخلق الإنسان" [2].

وهناك تجربة فى معسكر الإلحاد الأحمر تعتبر الجانب التطبيقى لذلك الذى تغيّاه هيكل حيث "عهد ستالين إلى أوبارين رئيس الأكاديمية العلمية السوفيتية أن يثبت علميا أن الحياة نشأت "تلقائيا" من المادة دون الاحتياج إلى فرض قوة أخرى "الله" وراء عمليات الخلق.

وظل أوبارين وزملاؤه يواصلون العمل طوال عشرين سنة وفى عام ١٩٥٥م خرج أول تقرير يقول فيه أوبارين: "إن النجاح الذى حققته علوم البيولوجيا السوفييتية حديثا يزيد الوعد بأن مسألة خلق كائنات حية بطرق صناعية ليس ممكنا فحسب، بل سيتحقق عما قريب !! ".

وظل العالم ينتظر تحقيق الوعد، ومات ستالين، وفشل أوبارين، وأعلن فى عام ١٩٥٩م عن فشله قائلا: "إن جميع المحاولات التى أجريت لتوليد الحياة من مواد غير عضوية سواء تحت ظروف طبيعية أو فى المعمل قد باءت بالفشل.

وإن فى الإمكان توليد الحياة بشرط أن تكون المحاولة على كوكب غير الأرض، وذلك نظراً لأن ظروف الأرض الحالية لم تعد مهيأة لذلك".

---

(1) السابق: ص٩٩.

(2) نفسه: ص١٠٨.

فانظر كيف زين الشيطان لأوبارين طريق الهروب من الإيمان، وماذا كان عليه لو استسلم لتلك الحقيقة الجبارة بدلا من التمادي فى الضلال [١] ؟!

بيد أن أوبارين هذا رغم تماديه فى الضلال وفقا لوصف الدكتور المطعنى "ينفى كليا الرأى القائل بأن الصدفة هى المكونة للحياة فى قوله: "إن شبكة التفاعلات للتحول الغذائي ليست منسقة بإحكام فقط بل إنها موجهة أيضا نحو الحفظ الذاتي الدائم للمجموعة فى الظروف المتوافرة للبيئة الخارجية، هذا التوجيه المنسق بقوة، وهو المميز للحياة لم يكن وليد الصدفة" [٢] حتى أوبارين المادي الملحد قام بنفي الصدفة التى أحل قانونها إسماعيل أدهم محل الإيمان بالله عز وجل، وطفق يدلل عليها بأدلة متهافتة،والأمثلة التى ساقها للبرهنة على قانونه الباطل قام غيره من العلماء باستخدامها وتوظيفها، ولكنهم وصلوا من خلال ذلك إلى نتائج مغايرة للتى وصل إليها، وماذا كان يضيره لو أنه بدلا من الإيمان بما أسماه "قانون العدد الأعظم الصدفي" آمن بالخالق الأعلى سبحانه وتعالى، ربما منعه من ذلك كبره وعناده وهيمنة سادته عليه.

إلى جوار ما سبق أن استشهدنا به على استحالة الصدفة من خلال احتمالات ظهور موضوعات ذات معنى من خلال وضع مئات الألوف من الحروف فى صناديق نسوق هذه التجربة التى أجريت فعلا –لا فرضا– فى مركز بحوث الاحتمالات البيولوجية فى الولايات المتحدة الأمريكية على الحروف الأبجدية.

فى هذه التجربة سحبت ٣٠ ألف سحبة من الحروف الأبجدية الإنكليزية البالغ عددها ٢٦ حرفا، وحسبت الكلمات التى تفيد أىّ معنى من السحب العشوائي للحروف، ورتبت هذه الكلمات فى جداول خاصة، وكانت النتيجة كما يلى:

الكلمات التى لها معنى والمتكونة من حرفين: عدد ٤٨٩٠ كلمة.

الكلمات التى لها معنى والمتكونة من ثلاثة حروف: عدد ١١١٣ كلمة.

الكلمات التى لها معنى والمتكونة من أربعة حروف: عدد ١٣٩ كلمة.

(١) الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة ص٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) د.موريس بوكاى: أصل الإنسان بين العلم و الكتب السماوية ص٥٦ ترجمة فوزى شعبان.

الكلمات التى لها معنى والمتكونة من خمسة حروف: عدد ١٧ كلمة.

الكلمات التى لها معنى والمتكونة من ستة حروف: عدد ٣ كلمات.

الكلمات التى لها معنى والمتكونة من سبعة حروف: كلمة واحدة فقط.

استنتج الباحثون من هذه التجربة ما يلى:

إن احتمال ظهور كلمة ذات معنى من التراص العشوائي للحروف يبدأ بالنقصان والهبوط إلى نسبة الربع أو الخمس كلما أضيف حرف آخر إلى الكلمة، وهذا يعنى أن احتمال تراص أربعمائة حرف بشكل عشوائي لتكوين جملة ذات معنى يتراوح بين ١: $٤^{٤٠٠}$ إلى ١: $٥^{٥٠٠}$" [١]

إن إسماعيل أدهم حاول إكساب قانون العدد الأعظم الصدفي أهمية خاصة عن طريق عقد آصرة نسب و مصاهرة – إذا صح التعبير– بينه وبين الرياضيات، وقد ثبت بطلان ذلك بصورة قطعية، ورغم كثرة ما سقناه من نماذج تتشابه فى صياغتها مع طرحه إلا أن النتائج متناقضة تماما، فإننا الآن نسوق هذا النموذج المفترض لطرافته من ناحية ولتشابهه مع النموذج الذى طرحه هكسلى أحد الذين تأثر بهم ذلك الأدهم "إن تراص حروف "نظرية التطور"– هاتان الكلمتان فقط – بعامل الصدفة هو احتمال بعيد جدا.

لنكتب على قصاصات الورق الحروف من الألف إلى الياء، ولنضعها فى كيس أو لنجلب آلة طابعة عليها الحروف الأبجدية فقط، ولنجلس أمامها قردا، ولنتصور أنه سيضرب على هذه الحروف عشوائيا، فما هو احتمال ظهور عبارة "نظرية التطور" عن طريق الصدفة؟!.

إن عبارة "نظرية التطور" تحتوى على ١١حرفا، فاحتمال ظهور هذه العبارة عن طريق الصدفة هو بنسبة ١: $٢٨^{١١}$ أى رقم ١ إلى رقم هائل جدا، ويتألف من ضرب العدد ٢٨ فى نفسه إحدى عشرة مرة، ولكى تتصور مدى ضخامة هذا الرقم نقول بأنه يساوى تقريبا عدد الثواني المارة اعتبارا من أول خلق الكون حتى الآن، أى لو كان هذا القرد يضرب على هذه الآلة الطابعة مرة كل ثانية من قبل خمسة عشر مليار سنة

(١)شمس الدين آق بلوت: دارون ونظرية التطور ص٤٦، ٤٧ ترجمة أورخان محمد على.

حتى الآن لكان هناك احتمال أن تظهر عبارة "نظرية التطور"بعامل الصدفة[1]".

وهكذا رأينا اتفاق العلماء – العقلاء – على استحالة ظهور شئ إلى الوجود عن طريق الصدفة مهما بلغت ضآلته كجزئ البروتين، أو عبارة من كلمتين، بينما لم يكتف أدهم بالترويج "لنظريته" فى إمكانية قيام الحروف بتأليف بعض الكتب الشبيهة بالمؤلفات البشرية، بل والمترلة من عند رب البرية كالقرآن الكريم، ولم يخرج الكون من افتراضاته تلك بل جعله خاضعا لهذا القانون الأخرق وقبل أن نناقشه فى خرافاته تلك نتساءل سؤالا بريئا من أى غرض، ومباشرا دون تعميق أو تعجيز:

أين المؤلفات التى ظهرت عن طريق الصدفة منذ بدء الكون حتى الآن ؟!.

وأين المخلوقات التى ظهرت عن طريق الصدفة منذ بدء الخلق حتى الآن؟!.

وقد قام سادتنا من العلماء والمفكرين بمناقشة القول بالصدفة وإبطاله، ولكن علينا قبل أن نسوق شهاداتهم نعلن استغرابنا من تبجح هذا المسخ بنقد اثنين من كبار علماء الرياضيات والطبيعة قد تعمق كل منهما فى البحث حتى توصلا للإقرار بوجود الله عز وجل، و بطبيعة الحال فإن ذلك لم ينل إعجابه، ولم يحظ بتأييده، بل اتبع معهما أسلوب التسفيه والسخرية والتطاول الذى يجيده أسياده الشيوعيون، ولنقرأ معا ما كتبه فى هذا الصدد: "يقول ألبرت آينشتاين صاحب نظرية النسبية فى بحث قديم له: "مثلنا إزاء العالم مثل رجل أتى بكتاب قيّم لا يعرف عنه شيئا، فلما أخذ فى مطالعته، و تدرج من ذلك لدرسه، وبان له ما فيه من أوجه التناسق الفكرى شعر بأن وراء كلمات الكتاب شيئا غامضا لا يصل لكنهه، هذا الشئ الغامض الذى عجز عن الوصول إليه هو عقل مؤلفه، فإذا ما ترقى به التفكير عرف أن هذه الآثار نتيجة لعقل إنسان عبقري أبدعه.

كذلك نحن إزاء العالم فنحن نشعر بأن وراء نظامه شيئا غامضا لا تصل إلى إدراكه عقولنا هذا الشئ هو الله".

ويقول السير جيمس جينز الفلكي الإنجليزي الشهير: "إن صيغة المعادلة التى توحد الكون هى الحد الذى تشترك فيه كل الموجودات، ولما كانت الرياضيات

(1) السابق: ص١٦، ١٧.

تفسر تصرفات الحوادث التى تقع فى الكون وتربطها فى وحدة عقلية فهذا التفسير والربط لا يحمل إلا على طبيعة الأشياء الرياضية.

ومن أجل هذا لا مندوحة لنا أن نبحث عن عقل رياضى يتقن لغة الرياضة يرجع له هذا الكون،هذا العقل الرياضى الذى نلمس آثاره فى الكون هو الله ".

وأنت ترى أن كليهما(والأول من أساطين الرياضيات فى العالم والثانى فلكى رياضى من القدر الأول) عجزا عن تصور حالة الاحتمال الخاضعة لقانون الصدفة الشاملة والتى يتبع دستورها العالم؛ لا لشئ إلا لتغلب فكرة السبب والنتيجة عليهما[1]".

وبعد أن ساق مبرراته فى تخطئة كل من هذين العلمين، وهما يعبران عن تيار قوى أعلن إيمانه بالخالق عز وجل عن طريقى العقل و العلم وحدهما دون الارتكاز على قاعدة دينية أو لاهوتية قام بإنهاء رسالته بعبارات تفيد الإصرار على الكفر، ولا تخلو من غرور كاذب، وكبر لا مبرر له يقول فيها: "إن الصعوبة التى أرى الكثيرين يواجهوننى بها حينما أدعوهم إلى النظر إلى العالم مستقلا عن صلة السبب والنتيجة، وخاضعا لقانون الصدفة الشامل ترد إلى قسمين:

الأول: لأن مفهوم هذا الكلام رياضي صرف، ومن الصعب التعبير فى غير أسلوبه الرياضى، وليس كل إنسان رياضيا عنده القدرة على السير فى البرهان الرياضي.

الثانى: أنها تعطى العالم مفهوما جديدا وتجعلنا ننظر له نظرة جديدة غير التى ألفناها، ومن هنا جاءت صعوبة تصور مفهوماتها؛ لأن التغير الحادث أساس يتناول أسس التصور نفسه.

ولهذه الأسباب وحدها كانت الصعوبة قائمة أمام هذه النظرية الجديدة، ومانعة للكثيرين عن الإيمان بها.

أما أنا شخصياً فلا أجد هذه الصعوبة إلا شكلية، والزمن وحده قادر على إزالتها، ومن هنا لا أجد بدا من الثبات على عقيدتى العلمية، والدعوة إلى نظريتى القائمة على قانون الصدفة الشامل الذى يعتبر فى الوقت نفسه أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله[2]".

(1) لماذا أنا ملحد؟ ص٩.

(2) السابق: ص١٠.

وهكذا ختم إسماعيل أدهم رسالته كافراً كما بدأها كافراً ولا نملك إلا أن نقول كما قال ربنا: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[1].

ونكتفي بعد هذا العرض والتحليل لوجهة نظر إسماعيل أدهم فى الصدفة، وإيمانه بقانونها أن نستأنس برد أستاذنا الدكتور أحمد محمد الطيب الذى كتب يقول تحت عنوان: "استحالة الصدفة": "إن بعضا ممن يوصفون بالعلم أو الفلسفة أو الفكر تستريح أذهانهم إلى مثل هذا التصور الشاذ بل المستحيل، ويقولون: إن هذا الكون لم يوجده موجد، وإنما حصل هكذا عن طريق الصدفة قائلين: إن ملايين الملايين من الذرات اللانهائية كانت تتحرك فى فضاء لا نهائى وفى أزمنه سحيقة لا نهائية، ولم تكن فى تحركاتها تهدف إلى غاية معينة، وإنما تتحرك حيثما اتفق، وكيفما تيسر، وفجأة التحمت هذه الذرات بعضها ببعض فتكون منها فى بادئ الأمر كتلة ضخمة جدا، وأثناء التحرك العشوائى لهذه الكتلة الهائلة حدث أن اصطدمت بالشمس وانقسمت إلى أجزاء كثيرة، ومن هذه الأجزاء تكونت الأرض والأجرام والكواكب، وتشكلت المنظمة الشمسية التى نعرفها الآن.

وبرغم غرابة هذا التفسير ولا معقوليته فإن طائفة من ملاحدة العلماء قد تشبثوا به وروجوا له الأكاذيب خدمة للإلحاد وسعيا لإحلال العلم محل الدين[2] و الإيمان بالله تعالى، ولم يستبصروا من دلائل الكون شيئا يلفت نظرهم إلى الله تعالى، فقالوا: إن الوجود كله وليد الصدفة[3]"، ثم يقول الدكتور الطيب بنقد مقولة الصدفة من ناحيتين: ناحية الدليل العقلى، وناحية الدليل الرياضى.

أما الدليل العقلى:

فهو استحالة ولادة "النظام" من "الفوضى" أو مجئ الحكمة من العبث، والصدفة إنما تعنى انعدام القصد، وتعنى العبث والفوضى و التشويش، وهذا الكون – باعتراف الماديين أنفسهم – مبنى على نظام دقيق وإحكام مدهش، وتأليف بديع يقصد إلى غاية ظاهرة هى توفير الشروط اللازمة لحياة الإنسان والكائنات الحية، وما يترتب على هذه الحياة من آثار وأفعال، ومن البديهى أن يستلزم عنصر القصد فى نظام الكون "عقلا" أو يستلزم "علما".

إن مقولة الصدفة فوق أنها تصمت عن إجابة السؤال المتعلق بنشأة الكون إجابة منطقية فإنها تصدم بديهة العقل ومبدأه الأولى وهو مبدأه "السببية".

وكل قول يصادم هذا المبدأ الفطرى المركوز فى نفوس الناس جميعا فإن العقل هو أول من يحكم عليه بالزيف والتدليس.

والدليل الرياضى:

الذى يحيل مقولة الصدفة وينسفها من الجذور هو دليل "حساب الاحتمالات"، وملخصه يقوم على خطوات ثلاث:

١- الخطوة الأولى: أننا نشاهد فى الكون انسجاما مطرداً بين كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة وبين حياة الإنسان، ويحملنا ذلك على الاعتقاد بأن كل هذه الظواهر –على كثرتها الهائلة– مسخرة فى اتجاه تيسير حياة الإنسان ككائن حى، ودليلنا على ذلك: أن حدوث أى اضطراب أو تغير فى هذه الظواهر إنما يعنى توقف هذه الحياة ونهايتها الفورية.

٢- الخطوة الثانية: هذا التوافق والانسجام المطرد بين ملايين الظواهر الطبيعية من جانب ومهمة تيسير حياة الإنسان من جانب آخر يمكن تفسيره بفرضية واحدة فقط هى: وجود صانع حكيم قصد إلى توفير عنصر الحياة على الأرض من خلال تشابك هذه الظواهر العديدة. ويزداد احتمال هذه الفرضية ويتراكم مع كل حال أو مثال من أمثلة التوافق بين الظاهرة الطبيعية وظاهرة الحياة بحيث تصبح درجة احتمال التفسير بوجود صانع حكيم درجة عالية جدا.

٣- الخطوة الثالثة: فى مقابل ذلك لو حاولنا تفسير كل هذه التوافقات فى أمثلتنا اللانهائية بفرضية الصدفة فسوف نضطر إلى افتراض ملايين الملايين من الصدف، ومع كل حالة أو مثال سوف تهبط درجة الاحتمال حتى تصبح صفراً.

وهكذا مع صعود "احتمال" فرضية الصانع وهبوط "احتمال " فرضية الصدفة يرجح العقل

---

(١) سورة الروم: الآية ٤.

(٢) انظر الدراسة القيمة التى أعدها أستاذنا الدكتور يحي هاشم حسن فرغل تحت عنوان: فى مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم.

(٣) د.أحمد محمد الطيب: بحوث فى الثقافة الإسلامية ص٢٤٨.

– بدرجة لا يشوبها الشك– الاحتمال الأول ويستبعد كلية الاحتمال الثانى، ونصل فى النهاية إلى النتيجة القاطعة وهى أن للكون صانعا حكيما بدلالة كل ما فى هذا الكون من آيات الاتساق و التدبير [1]".

وهذه النتيجة التى توصل إليها أستاذنا الدكتور الطيب ستكون إحدى الأفكار الرئيسية فى خاتمة هذا البحث إن شاء الله رب العالمين.

وقبل أن نصل إلى ختام هذه الفقرة نحيل القارئ إلى بعض المراجع التى عرضت موضوع القول بالصدفة وقضت ببطلانه[2]، ثم نختم بقول عالم الطبيعة الأمريكى جورج إيرل ديفيس: "لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه –ادعى أدهم ذلك– فإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفى هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله، وهكذا ننتهى إلى التسليم بوجود (الإله)، ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا: إلها غيبيا وماديا فى آن واحد !!.

إننى أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذى خلق العالم المادى وهو ليس بجزء من هذا الكون، بل هو حاكمه ومديره ومدبره بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات[3]".

ولكن ما حيلتنا وقد حوّل إسماعيل أدهم الخزعبلات إلى نظريات!!! آمن بها ودعا إليها وهلك فى سبيلها، واليوم نجدله أتباعا يحاولون بعث جيفته، بترويج كفره، ونشر إلحاده دون قلب خاشع، أو دين وازع، أو ضمير مانع، أو نظام رادع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم.

(1) السابق: ص٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١.

(2) انظر على سبيل المثال: العلم يدعو إلى الإيمان تأليف كريسى موريسون ص٥١
الله
تأليف عباس محمود العقاد ص١٧٧ .
الإسلام يتحدى
تأليف وحيد الدين خان ص١٠٧.
الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة تأليف د.عبد العظيم المطعنى ص٣٦٦.
الشهادتان: التوحيد و النبوة
تأليف الشيخ محمد الغزالى ص٩.
قضايا العصر فى ضوء الإسلام
تأليف أنور الجندى ص٤٣.
دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام
تأليف عبد المنصف محمود عبد الفتاح
ص١٩ ص٢٦.

(3) الإسلام يتحدى ص١٠٨، ١٠٩.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المرهقة مع تجربة الملحد إسماعيل أدهم وجدت نفسى مضطراً لمناقشة بعض الأفكار الشائكة فى هذه الخاتمة، مستعيضا بذلك عن الخواتيم التقليدية التى يقوم فيها الباحثون بإبراز أهم نتائج بحوثهم، وتوصياتهم التى يرون ضرورتها فى نهايات هذه البحوث، وقد كان من الميسور أن أحذو حذوهم، و أنجو بنفسى من عواقب هذه المسائل الحساسة، ولكننى وجدت أن الخوض فيها – ولو بإيجاز– يعد من باب النصيحة لدينى، والمرجو من القارئ العزيز أن يصبر معنا –أو علينا– حتى نهاية المطاف، وله من الله تعالى الأجر و المثوبة، ومنا دعاء صادق، وعرفان بالجميل.

خطورة الإلحاد:

أود فى البداية بأن أذكر القراء الكرام بأنه لولا قيام نفر من بنى وطننا ببعث الجيفة من قبرها،وطبع كراسته ونشرها ما كان لنا أن نعيد ذكراه فى الناس؛ وذلك لفساد فكره، وخطورة رأيه، وشؤم أثره على عقائد المؤمنين، ولكننا بإزاء إعادة نشر كراسته "لماذا أنا ملحد؟"، والترويج لها، وحدوث ذلك بالتزامن مع إعادة طبع كتاب من تاريخ الإلحاد فى الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوى[1] وسواء أكان ذلك بقصد أم بغير قصد كان لزاما علينا أن نتصدى لهذه الموجة المارقة لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

وفى هذا السياق أود التذكير بالنهاية التى آل إليها مصير إسماعيل أدهم وهى الانتحار، فلو كان صادقا فى زعمه بأن قلبه مطمئن بإلحاده ما كانت هذه نهايته، إلا أن شأنه فى هذا شأن غيره من الملحدين الذين كانوا "يحتاجون إلى العلاج النفسى حتى تزول عنهم أعراض المرض؛ وبهذا سوف يعودون إلى طريق العلم والدين والفلسفة إلى (الإيمان بوجود الله تعالى).

فكل ما عند هؤلاء وساوس، وأمراض نفسية، وشياطين تصدهم دائما عن سبيل الحق، وتهيئ لهم أنهم على الحق.

وقد عبر القرآن الكريم عن الحالة النفسية التى يعيشها الملحدون، حالة الضيق والخوف والقلق فيقول ﴿ فَمَن

(1) نشر دار الشعاع/القاهرة/الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م.

﴿ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١] ، وهكذا عبرت هذه الآية الكريمة عن الحالة التى يعيشها الملحد، وهى حالة القلق الرهيب الذى يؤرقه دائما ويخيفه رغم نجاحه المادى، ووصوله إلى أرقى أساليب التكنولوجيا الحديثة، وهذا ما أيده الواقع العملى، فقد ثبت أن أعلى نسبة للانتحار و الجنون هى فى أكثر دول العالم تقدما من الناحية المادية[٢] ".

وقد نبه الباحثون والدارسون لعلوم العقيدة، ومقارنة الأديان على خطورة الإلحاد والملحدين على عقائد الناس، وأجمعوا على وجوب التصدى لهم، وضرورة مواجهتهم وردعهم درءا للفتن، وذودا عن عقائد المؤمنين، وتخليصا للمجتمعات من مفاسدهم وأخطارهم،ونكتفى فى هذه الفقرة بالاستشهاد بوجهة نظر العلامة جمال الدين الأفغانى الذى يتحدث عن عقيدتى: الإيمان بالله واليوم الآخر، ويرى "أن أول تعاليم الدهريين[٣] إبطال هذين الاعتقادين "الاعتقاد بالله، والاعتقاد بالحياة الأبدية"، وهما أساس كل دين، وآخر تعاليمهم الإباحة والاشتراك، فهؤلاء القوم هم الساعون فى نسف بناء الإنسانية، وتذريته فى ذيول السافيات يطلبون ضعضعة أركان المدنية، وفساد الأخلاق البشرية، ويقوضون بذلك ما رفعه العلم وشادته المعرفة فيهلكون الأمم بإطفاء حرارة الغيرة،وإخماد ريح الحمية.

هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانة، وأرومات الرذالة والدناءة، وأحلاس الخسة والنذالة، وأعلام الكذب و

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٢) د.سعد الدين السيد صالح: العقيدة الإسلامية فى ضوء العلم الحديث ص٨٥، ٨٦.

(٣) الدهرى: رجل دهرى: ملحد لا يؤمن بالآخرة يقول ببقاء الدهر.

انظر: المعجم الوجيز – إصدار مجمع اللغة العربية

* الدهريون: وهم طائفة من الأقدمين،جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه، وبلا صانع،ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبدا، وهؤلاء هم الزنادقة" انظر: المنقذ من الضلال للإمام أبى حامد الغزالى ص٣٤٢-٣٤٦ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

الافتراء، ودعاة الحيوانية العجماء، محبتهم كيد، وصحبتهم صيد، وتوددهم مكر، ومواصلتهم غدر، وصداقتهم خيانة [١] ....".

ويسترسل الأفغانى فى بيان أخطارهم على المجتمعات البشرية، ويطالب إبعادهم واستئصال تعاليمهم، وفى ذلك يقول: "ولما كان نظام الأكوان قد بنى على أساس الحكمة، ونظام العالم الإنسانى جزء من النظام الكونى ألهم الله نفوس البشر أن تفزع إلى مقاومة أولئك المفسدين "الدهريين" فى أى زمان ظهروا ومدافعة ما يعرض من شرهم "كما ألهمهم الفزع من الحيوانات المفترسة، والنفرة من الأغذية السامة "، وأنهض حفاظ النظام المدنى الحقيقى وهو الدين لبذل الجهد وإفراغ الوسع فى محو آثارهم ، واستئصال ما يغرسون من تعاليمهم.

لا جرم أن مزاج الإنسان الكبير "يعنى عموم النوع" بما أودع الله فيه من الشعور الفطرى، وهو أثر الحكمة الإلهية العامة يمج أولئك الخونة، ولا يحتمل وجودهم فى باطنه.

فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة، أو الذنانة [٢] من المنخر، أو النخامة[٣] من الصدر؛ لهذا نراهم وإن حلوّا ببعض منازل الأرض من زمان بعيد، وأيدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوى الشوكة لأغراض سافلة إلا أنهم لم يثبتوا،ولم يتم لهم أمر، بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع، والنظام الحقيقى لنوع الإنسان، وهو الدين لم يزل قاراً راسخا فى جميع الأجيال، وعلى أى الأحوال[٤]".

وما عبر به الأفغانى عما ينبغى أن يعامل به هؤلاء الملحدون [illegible]

(١) جمال الدين الأفغانى: الرد على الدهريين ص٩١ ترجمة الإمام محمد عبده.

(٢) الذنانة: المخاط يسيل من الأنف (انظر: المعجم الوجيز).

(٣) النخامة: البلغم يلفظه الإنسان من حلقه (انظر: المعجم الوجيز).

(٤) الرد على الدهريين ص٩٣، يصنف أحد الدارسين كتاب الأفغانى باعتباره (أول ردود الفعل فى القرن التاسع عشر تجاه الجانب الميتافيزيقى لفلسفة العلم الوافدة حيث يفرق الأفغانى بداية بين الإلهيين والماديين القائلين بالأصل المادى للكون وبفكرة الكمون، ثم ينتقل الأفغانى إلى المحدثين القائلين بفكرة الكمون والقائلين بالأصل الواحد لكل الأنواع، ومنهم دارون) إلى آخر أغراض الكتاب انظر: تاريخ وفلسفة العلم فى مصر منذ القرن التاسع عشر تأليف د. أحمد عبد الجواد ص ٥٠ص٥٣

إيضاحا فى الفقرة القادمة، ولكن الذى استرعى النظر من رؤيته لهم هو وجود أشباه لهم ونظراء فى المجتمع من:علمانيين، وبهائيين، وشيوعيين وغيرهم،يجمعهم قاسم مشترك واحد وهو العداء للدين؛ أى دين.

وإن تعجب فعجب قيام إحدى جرائد المعارضة بالاحتفال هذا الأسبوع بذكرى مرور تسعين عاما على الثورة الحمراء فى أكتوبر ١٩٩٧م بروسيا بإصدار ملف خاص تمجد فيه هذه الثورة ورجالها[١]، وقد رأينا على صفحات هذا البحث استحالة الجمع بين الشيوعية وبين الأديان وخصوصا الإسلام عندما كنا نتحدث عن الخلفية الثقافية للملحد إسماعيل أدهم، والآن نقول تعليقا على هذا الصنيع السفيه لهؤلاء النفر المفتونين الذين غرتهم الأمانى، فباتوا يحتفلون بذكرى ثورة لم يكن لها نصيب من النجاح.

إن الأنظمة الشيوعية انهارت وتفككت فى بلادها، واعترف أصحابها بفشلها، ويأتى من أتباعها لدينا من يحتفل بذكراها غافلا أو متغافلا عما صنعته بالمتدينين سواء أكانوا مسلمين أم نصارى فى البلاد التى حكمتها الأنظمة الشيوعية الكافرة، جاهلا أو متجاهلا الفصام الأبدى بين الشيوعية وبين الدين، و ما أصدق ما قاله الدكتور عبد المنعم النمر: "الشيوعية أخطر أنواع الغزو الثقافى أو الفكرى وقد ابتلينا هنا بهذا الغزو،ووجدنا من الماركسيين هنا انفصالا تاما عن مجتمعهم فى دينه وأمانيه، ومصالحه الوطنية والقومية، حتى صاروا يمثلون فى الداخل جزيرة منعزلة عمن حولهم، وإن تكلموا لغتهم وعاشوا بينهم، وتمتعوا بخيرات وطنهم....

إن الشيوعيين فى أية دولة خطر على كيانها الداخلى؛ لأنهم لا يستوحون مبادئها ولا تقاليدها بقدر ما يستوحون اتجاهات روسيا أو الصين[٢]".

إن المصريين مطالبون بالوعى والحذر من هذه التيارات الهدامة، والأحزاب المشبوهة التى تريد إعادة بعث الكفر بفجور ووقاحة بالتلبيس على الناس بنشر الجوانب البراقة -من

(١) جريدة الأهالى: الأربعاء ٢٤ أكتوبر٢٠٠٧م.

(٢) د.عبد المنعم النمر: الثقافة الإسلامية بين الغزو و الاستغزاء ص٢٧٦، ٢٧٧

وجهة نظرهم- لهذه الثورة الحمراء دون التنبيه إلى موقفها المعادى للدين حيث "لم يختلف اثنان فى أن الإلحاد جزء من الشيوعية، كما لم يختلف اثنان فى أن الشيوعية ترفض رفضا باتا أى تنظيم دينى للمجتمع الإنسانى. وإنكار الشيوعية للدين يكبر ويصغر بمقدار تدخل الدين فى المجتمع.

فإذا كان الدين يكتفى مثلا بالجانب التعبدى والأخلاقى فإن الشيوعية -مع كفرها به- تراه عدواً محدود الخطر.

أما إذا تدخل فى المعاملات العامة و الخاصة واستكثر من الشرائع التى تضبط المجتمع على نحو معين، وتسوقه إلى وجهة بينة فإن العداوة هنا تمتد وتشتد.

لذلك لا تطيق الشيوعية الإسلام لأنه مع شبهه للأديان الأخرى فى الاعتراف بالألوهية واحترام الوحى يمتاز بهيمنته على أزمة الحياة النفسية والاجتماعية، ومزجه التام بين أحوال القلب وأحوال الدولة[١]".

وكم يتمنى الباحث من كل قلبه أن ينظر المجتمع المصرى للمتطاولين على دينه، المجاهرين بالولاء لغيره تلك النظرة اللاذعة التى ووجه بها الدهريون فى حديث الأفغانى، أو كما يقول الشيخ محمد الغزالى: "ينبغى أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة، وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التى يسرها الاستعمار لهم، ووقف بعيدا يرقب نتائجها المرة [٢]".

حكم الردة فى الفقه الإسلامى:

إسماعيل أدهم مرتد وليس فى ذلك شك باعترافه هو بخط يده، وقد صودرت رسالته عن "مصادر التاريخ الإسلامى"، عند نشرها فى عام ١٩٣٦م؛ وذلك لجرأته وتطاوله على السنة النبوية المطهرة كما رأينا على صفحات هذا البحث، وإننا نستغرب -أولا- لأن جرأته تحولت إلى وقاحة وفجور فانتقل من الهجوم على الحديث إلى الهجوم على مقام الألوهية بإعلان إلحاده، وإنكار وجود الله عز وجل فى رسالته: "لماذا أنا ملحد؟"، ونشرها بعد عام واحد من نشر الرسالة المصادرة.

وما يزال ترك هذا الملحد حرا طليقا فى ذلك التوقيت دون إحالته إلى

(١)الشيخ محمد الغزالى: الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص١٩، ٢٠.

(٢)الشيخ محمد الغزالى: مع الله: دراسات فى الدعوة والدعاة ص٢٣٨.

القضاء يشكل لغزاً محيرا يستعصى على الحل، وذلك بالمقارنة مع إحالة من هم أقل جرما منه إلى القضاء كالدكتور طه حسين بسبب آرائه فى كتابه "فى الشعر الجاهلى"، والشيخ على عبد الرازق بسبب آرائه فى كتابه "الإسلام وأصول الحكم".

وإننا نستغرب –ثانيا– من هذا الحراك الفكرى الذى سببه نشر هذه الرسالة الحقيرة، فيما بين أخذ ورد مع كبار مثقفى عصره مثل: أحمد زكى أبو شادى ومحمد فريد وجدى.

وإننا نستغرب –ثالثا– من تباهى بعض مثقفى عصرنا هذا بمناخ الحرية الذى كان سائدا فى ذلك الزمن الغابر، وتباكيهم على فقدانه فى هذه الأيام حيث حرية الإبداع –فى زعمهم– مقيدة، ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [1].

وإننا نستغرب –أخيرا– من إعادة نشر هذه الكراسة الإلحادية فى منتصف هذا العام، فماذا يريد المروجون للكفر، المرجفون فى المدينة، المثيرون للفتنة، المفسدون فى الأرض؟.

وكم كنا نتمنى لو أن الشريعة الإسلامية كانت قد وجدت طريقها فى هذا التوقيت –وخصوصا فى جانب الحدود– للتطبيق إذن لنال جزاءه العادل جراء ردته عن الإسلام.

وحد الردة من القضايا التى يدندن حوله العلمانيون، وتتغنى برفضه والتشكيك فيه منظمات المجتمع المدنى، وجمعيات حقوق الإنسان فى الداخل والخارج، ولسنا بحاجة إلى إيراد ما جاء فى الفقة الإسلامى حوله بقدر حاجتنا إلى ذكر آراء العلماء المعاصرين فيه، والتى انتهت فى طرحها لأمر واحد –على غير اتفاق فيما بينهم–، وهو: ضرورة إقامة الحد على المرتد إذا استعلن بكفره، وجاهر به، ودعا إليه بما يشكل خطورة على المجتمع وعلى أمنه وسلامته.

---

[1] سورة المنافقون: الآية ١، أما عن نفاقهم فلا نطاق بعض ما ورد فى الحديث الشريف عليهم، هذا الحديث الذى رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر"، فالمناخ الآن فى مصر غيرمسبوق بدليل تطاول الكثيرين على الذات الإلهية، وعلى السنة النبوية، وعلى الرموز السياسية والدينية، وليس أدل على ذلك من الأحكام الصادرة ضد نفر من هؤلاء، ومازالوا يتطاولون، ومازالوا فى خوضهم يلعبون.

وقد نبه الشيخ محمد الغزالى إلى هذه الخطورة بقوله: "ونحن ما فى طاقتنا أن نمنع الارتداد،فليذهب إلى الجحيم من أراد [1]".

لكن الذى فى طوقنا أن نذكره، وأن نكرره أن هؤلاء المرتدين يبغون فساد جمهور الأمة بالقوة، فهم يستغلون السلطات التى سرقوها لنشر الإلحاد والانحلال، وتفريغ القلوب مما بها من إيمان بالله وطاعة له [2] (١٥)"

وفى معالجة دقيقة يفرق الدكتور محمد عمارة بين الملحد الذى ستر إلحاده، وبين الذى جعله فكراً ورسالة، وذلك فى قوله: "الشاك نتيجة للتأمل والنظر إذا قاده هذا الشك إلى الإلحاد بدلا من الإيمان لا تثريب عليه إسلاميا إن هو لم يقصر فى طلب الهداية والرشاد طالما أنه قد ستر "عورة الإلحاد" كى لا تشيع فاحشتها فى مجتمع المؤمنين.

أما إذا كان الإلحاد فكراً ورسالة يدعو إليها الملحدون ويشيعونها بين الناس فتلك قضية أخرى تتجاوز نطاق "حرية الاعتقاد" إلى العمل على تدمير "النظام العام" فى المجتمع الإسلامى؛ إذ الإيمان واحد من أبرز سمات هذا النظام [3] .."

وهؤلاء يرى الدكتور عمارة إقامة حد الردة عليهم؛ لأن ردتهم "أشبه ما تكون بجريمة "الحرابة" التى هى محادة لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين..إنها إعلان الحرب على الإيمان كنظام للاجتماع الإسلامى، تجعل من المرتدين معول هدم للنظام الإسلامى.

وليس سرا ولا هو مما تخفى دلالته عند الفقهاء الذين قرروا للردة حداً –هو القتل بعد الاستتابة– قد استندوا إلى الحديث النبوى لا إلى القرآن الكريم، وأن الحديث الذى استندوا إليه لا يدع مجالا للشك فى أن هذا هو معنى الردة التى تستحق هذا العقاب؛ لأنها إعلان

---

[1] للدكتور محمد سليم العوّا رأى مشابه أعلنه ضمن حديث صحفى قال فيه بالحرف الواحد: "...هو اللى ها يدخل الإسلام فى نظر المسيحية هايروح النار؟
ما تسيبه يروح النار! انت خايف عليه ليه؟
وفى نظر المسلمين: المسلم اللى هايدخل المسيحية ها يروح فين؟ النار!!
ما يروح فى ستين داهية عايزين منه إيه؟!!" جريدة الدستور: الأربعاء ١٩ سبتمبر ٢٠٠٧م.

[2] الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ص٥٥.

[3] د.محمد عمارة: الغزو الفكرى: وهم أم حقيقة ص١٥٩، ١٦٠.

وإشاعة للفاحشة، ومحاربة للأمة، والتحاق بمعسكر العدو فى ظل ملابسات الصراع ومخاطره، ففيها مفارقة للجماعة المؤمنة، ودعم لمعسكر الأعداء، ففيما رواه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "والذى لا إله غيره لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، و التارك لدينه المفارق للجماعة."[1].

وهذا هو نفس طرح أستاذنا الدكتور محمود زقزوق الذى يرى "أن لكل إنسان الحق فى أن تكون له آراؤه الخاصة حتى لو كان ما يعتقده فى نفسه أفكاراً إلحادية؛ وهذا فإنه لا يجوز العدوان على إنسان أو أيذاؤه بسبب آرائه، ولسنا مأمورين بأن نفتش فى صدور الناس عن معتقداتهم الدينية.

كما أن هذه الحماية العامة لحرية الرأى والعقيدة تقوم طالما احتفظ الفرد برأيه لنفسه، أما إذا أراد أن ينشر على الملأ بأية وسيلة من وسائل النشر آراءه الخاطئة التى تناقض معتقدات وأخلاقيات مواطنيه فإنه فى هذه اللحظة يخرج على النظام العام للدولة التى يعيش فيها؛ لأن آراءه الخاطئة يمكن أن تنشر الشك بين مواطنيه مما قد يؤدى إلى إحداث بلبلة وإثارة فتنة، وكل من يسلك هذا المسلك فى أى مكان فى العالم يعاقب بل قد توجه إليه تهمة الخيانة العظمى؛ لا لأنه ارتد عن عقيدته، وإنما لأنه يثير فتنة فى المجتمع نتيجة نشر أفكاره، ولأنه يخرج بذلك على النظام العام فى الدولة[2]".

([1]) السابق: ص ١٦٤، ١٦٥.

([2]) د. محمود حمدى زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار ص٢٠٦.

انظر مزيدا من الآراء الفقهية حول حد الردة فى:

- نحن والغرب تأليف الدكتور يوسف القرضاوى ص٥٧ ص٦٧

- محاكمة المرتدين تأليف أحمد السيوفى، والكتاب كله مهم لاشتماله على الملف الكامل لشهادتى الشيخ محمد الغزالى والدكتور محمود مزروعة فى قضية فرج فودة وردود الأفعال التى فجرت قضية الردة، والأحكام الفقهية حول حد الردة.

- قراءة فى كتاب حرية الاعتقاد فى القرآن الكريم–دراسة فى إشكاليات الردة والجهاد والجزية للدكتور عبد الرحمن حللى–قراءة الدكتور حسن أحمد الخطاف. بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية /جامعة الكويت ص١٧ص١٢١.

- جريدة عقيدتى/القاهرة الثلاثاء ١٤أغسطس ٢٠٠٧م

- جريدة الدستور/القاهرة الأربعاء ٢٢ أغسطس ٢٠٠٧م.

وذلك الذى حذر منه الدكتور محمد عمارة والدكتور محمود زقزوق صنعه إسماعيل أدهم بنشر إلحاده على الملأ فى عام ١٩٣٧م، وهو ما يعيده مسوخ هذا الزمان بإعادة نشر كفره فى هذا العام (٢٠٠٧م)، وكأنهم يحتفلون بمرور ستين عاما على نشرها الأول مثلما احتفلوا بالذكرى التسعين للثورة الحمراء فى أكتوبر (٢٠٠٧م)

واللافت للنظر فى سياقنا هذا أن الدكتور محمود زقزوق وهو أحد رواد الحوار الحضارى الكبار، وأحد أكثر علماء الإسلام اعتدالا ووسطية تعرض لحملة ألمانية فى هذه الأيام تتهمه بتقويض الحريات الدينية، فقد "شنت الجمعية الدولية لحقوق الإنسان فى فرانكفورت حملة عليه اتهمته فيها على لسان رئيسها كارل هافن بالدعوة فى كتاباته وتصريحاته لوسائل الإعلام إلى معاقبة من يعتنق المسيحية من المسلمين بالإعدام مثلما حدث فى قضية المواطن محمد أحمد حجازى"[1].

وقد نفى الدكتور زقزوق التهمة وجهر بالحق فى بلادهم ولم يخف فى الله لومة لائم، فقال فى حديثه لمجلة أوسنا بروكر الألمانية: "إن كل مواطن فى مصر له حق فى اعتناق الديانة التى يرغبها؛ لأنه لا إكراه فى الدين بشرط أن لا يدعو الآخرين للحذو به، ويتسبب فى إثارة القلاقل الدينية و السياسية فى البلاد، ففى هذه الحالة يجب معاقبته وتقديمه للمحاكمة"[2].

وجود الله عز وجل:

قبل أن أتحدث عن هذه القضية المحورية أحيل القارئ الكريم إلى بحثين موجزين تناول كل منهما هذه القضية بالدرس والتحليل، وهما: أدلة وجود الله تعالى فى ضوء العقل والنقل[3] لأستاذنا الدكتور محمد على عز العرب السماحى، والثانى: اهتمام الخطاب

([1]) جريدة الأهرام/القاهرة السبت ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٧م.

([2]) السابق: نفسه.

([3]) هذا البحث منشور بحولية أصول الدين/ القاهرة العدد السابع سنة١٩٩٠م ص٣٤٣ ص٣٩٢.

القرآنى بقوى الإدراك الإنسانى وأثره فى الفكر الإسلامى [1] لكاتب هذه السطور فضلا عن كتاب الدكتور محمد عبد التواب الذى أشرنا إليه فيما سبق، وهو: "وجود الله تعالى بين الفطرة والدليل"[2].

إن قضية الألوهية، أو الإيمان بقوة عظمى، أو مسبب الأسباب قد شغلت الجنس البشرى منذ فجر التاريخ حتى وقت الناس هذا فمن الناس من تداركته رحمة الله عز وجل بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ومنهم من لم ينل هذا الحظ الأوفى، وهؤلاء منهم من آمن ومنهم من كفر؛ بل إن الأقوام الذين خوطبوا بكلمات الوحى عن طريق الرسل لم يدخلوا فى الدين دخولا جماعيا حيث خضعوا لقانون حرية الاعتقاد الذى تلخصه الآية الكريمة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[3] أروع تلخيص.

وفى هذا السياق نستشهد بوجهى نظر تحدثت كلتاهما عن المقصد الأول فى حديث الدين للمخاطبين، وهو الدعوة لتوحيد الله عز وجل ونفى الشريك.

فوجهة النظر الأولى صاحبها من القدامى وهو الإمام الشهرستانى الذى يقول عن معرفة الله عز وجل: "فما عددت هذه المسألة من النظريات التى يقام عليها برهان؛ فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير...؛ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفى الشريك[4]".

ووجهة النظر الثانية معاصرة وهى للشيخ محمد الغزالى تمزج بين الإقرار بوجود الله عز وجل والاعتراف بوحدانيته نلتقط منها هذه السطور: "إن الطفل الذى يودع فى أحد الملاجئ قد يفكر فى أبيه عندما يكبر، وقد يبحث عنه،ولكن لا يجرى فى خاطره أبدا أنه جاء الدنيا من عدم، أو ظهر على الأرض من غير أب والبشرية فى أغلب العصور بحثت عن ربها وفكرت فيه وربما أخطأت الطريق إليه، فقد تعبد اسما لا

(1) هذا البحث منشور بحولية أصول الدين/ القاهرة العدد الثانى عشر سنة ١٩٩٥م ص٢٦٩ ص٣٢٦.

(2) ط دار الطباعة المحمدية، القاهرة سنة ١٩٩٩م.

(3) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(4) الشهرستانى: نهاية الإقدام فى علم الكلام ص١٢٤ حرره وصححه ألفرد جيوم.

حقيقة له، وقد تعبد حجرا موهوم النفع والضر،وقد تعبد عجلا، أو تقدس بقرة، أو تؤله نهرا، وقد يجئ من يرفض هذه الآلهة المزعومة كلها وينكر أن يكون للوجود سيد!!.

إن قضية الألوهية فى التاريخ الإنسانى يكتنفها قدر من الغموض، وجمهرة الأمم رنت إلى إله كبير، ثم رمزت إليه أو تعرفت عليه عن طريق التماثيل، أو الكائنات التى تنتمى إليه على نحو ما، وتخيل إلى أن رفض عقيدة الألوهية من الأساس لم ينجم إلا بعد شيوع التدين الخرافى، ورفض العقل السجود لحجر أو حيوان أو إنسان.

وكان هذا الرفض المطلق يقع على ندرة ثم شاع فى عصرنا الحديث مع التقدم العلمى وانتشار تدين مغشوش، وخيانة المسلمين لرسالتهم فما بلغوها ولا أنصفوها...

إن الفرار من الحقائق ليس ذكاء ولا شرفا، وإذا كان بعض الملحدين يحسب نفسه مفكرا فليعلم واقعه المر، إنه امرؤ معتل الفكر، مصاب بداء عقلى منفر لا يقل عن الجذام، بل ربما كان المجذوم أشرف خلقا وأصح فكرا.

إن منهج القرآن الكريم هو الجمع فى سياق واحد بين دلائل الوجود الأعلى وأدلة الوحدانية المطلقة[1]".

ويتحدث العلماء المعاصرون عن الجمال الكونى بلغة شاعرية تدلنا على وجود الله عز وجل، وذلك فى قولهم: "والبشر يلحظون يد الله فى ندفة الثلج، وفى غروب الشمس،وفى حقل الأعشاب، وعظمة الجمال وجلاله يحملان توقيع الله الذى لا شبهة فيه.

إياك أن تفوت أية فرصة لمشاهدة أى شئ جميل لأن الجمال خط بيد الله، إنها صلاة تقام على جانب الطريق، رحب بالجمال فى كل وجه حسن، وفى كل سماء صافية، وفى كل زهرة جميلة، واشكر الله على ذلك.

وهكذا نجد أن أصل الكون وبنيته وجماله تفضى جميعا إلى النتيجة نفسها وهى أن الله موجود[2]". وللشيخ سيد قطب كلمات جميلة فى هذا السياق يقول فيها: "وهذا الوجود بتناسقه وانسياب حركته يمثل صنعة الله من اليسر

(1) الشيخ محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ١/٢٠٤، ٢٠٧.

(2) روبرت م أغروس، وجورج ستانسيو: العلم فى منظوره الجديد ص٧٨ ترجمة د. كمال خلايلى.

والانسياب الذى لا تصادم فيه ولا احتكاك.

ملايين الملايين من الأجرام تسبح فى فضاء الله وتنساب فى مداراتها متناسقة متجاذبة لا تصطدم ولا تضطرب ولا تميد.

وملايين الملايين من الخلائق الحية تجرى بها الحياة إلى غاياتها القريبة والبعيدة فى انتظام وفى إحكام وكل منها ميسر لما خلق له، سائر فى طريقه إلى غاية.

وملايين الملايين من الحركات والأحداث والأحوال تتجمع وتتفرق وهى ماضية فى طريقها كنغمات الفرقة العازفة بشتى الآلات لتجتمع كلها فى لحن واحد طويل مديد[1]".

وللشيخ محمد متولى الشعراوى رؤية جميلة فى هذا السياق حيث يرى أن الإيمان بالله تعالى ضرورة لغوية، وفى ذلك يقول: "من أين دخل لفظ "الله" على لغة الناس؟، أو من أين دخل اللفظ المقابل للفظ "الله" فى سائر لغات الناس؟

ما دامت الأمور العدمية لا تصل إلى مرتبة أن توجد لها الألفاظ ومادامت الألفاظ لا تسبق المعانى، إذن فوجود تلك الألفاظ فى لغات الناس يدل قطعا على أن معانيها سبقت وجود اللغة، وأن المعنى الإيمانى فى وجود الله أمر سابق على أن يكون لنا لغة...

إذن الألفاظ اللغوية تدل على أن معنى لفظ "الله" ودلالته على واجب الوجود سابق على وجود هذه اللغة، وذلك يصحح مفاهيم الناس الذين بحثوا فى مقارنات الأديان؛ لأن الأصل أن الناس حينما خلقوا أمدوا بالمنهج من الله مباشرة، ثم طرأت عليهم الغفلة، ثم طرأت بعد الغفلة تأثيرات البيئة، فطرأ الكفر على ما كانوا يعلمون[2]".

ونختم هذه الفقرة بهذه المناجاة الرائعة لابن عطاء الله السكندرى، وهو يخاطب رب العزة عز وجل قائلا: "إلهى! كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك؟

أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟

متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟

ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك؟

(١) الشيخ سيد قطب: فى ظلال القرآن ٦/ ٣٨٩٢، ٣٨٩٣.

(٢) الشيخ محمد متولى الشعراوى: الإسلام والفكر المعاصر ص١٣، ١٤.

كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى أظهر كل شئ؟

كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ؟

كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ؟

كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أقرب إليك من كل شئ؟

كيف يتصور أن يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود شئ؟

شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه.

المستدل به عرف الحق لأصله فأثبت الأمر من وجود أصله.

والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه.

وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه؟

ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل إليه؟[1]"

رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة يونس الآية ١٠

(١) د.عبد الحليم محمود: الإسلام والعقل ص٩٦، ٩٧.

مراجع البحث

١- الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم فى تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن سعيد السرجانى، بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٧٠ شعبان ١٤٢٨هـ- سبتمبر ٢٠٠٧م.

٢- أدلة وجود الله تعالى فى ضوء العقل والنقل، د.محمد على عز العرب السماحى، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين،القاهرة، جامعة الأزهر، العدد السابع سنة ١٩٩٠م.

٣- الأزهر وحرية الفكر، د. محمد رجب البيومى، مقال بمجلة الأزهر، القاهرة، الجزء الخامس، السنة الحادية والخمسون، رجب ١٣٩٩هـ، يونية ١٩٧٩م.

٤- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، د. يحي هاشم حسن فرغل، ط. دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.

٥- الإسلام السياسى فى مصر، د. هالة مصطفى، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٥.

٦- الإسلام والعقل، د. عبد الحليم محمود، ط. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٩٨م.

٧- الإسلام والفكر المعاصر، الشيخ محمد متولى الشعراوى، ملحق لمجلة المجاهد من إصدارات فرع الشئون الدينية، القوات المسلحة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.

٨- الإسلام وقضايا الحوار، د. محمود حمدى زقزوق، ترجمة د. مصطفى ماهر، ط. مكتبة الشروق الدولية، القاهر، سنة ٢٠٠٤.

٩- إسلام الماركسيين، د. عبد المعطى بيومى، مقال بمجلة منبر الإسلام ، القاهرة، العدد ٤، السنة ٤٦ ربيع الثانى ١٤٠٨هـ- ديسمبر ١٩٨٧م.

١٠- الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، د. عبد العظيم المطعنى، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.

١١- الإسلام فى وجه الزحف الأحمر، الشيخ محمد الغزالى، ط. نهضة مصر، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

١٢- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، ط. دار المختار الإسلامى، القاهرة، الطبعة السابعة سنة ١٩٧٧م.

١٣- إسماعيل أدهم ذلك المغرور المنتحر، د. إبراهيم عوض، مقال منشور بموقع: http:// al-shaab.org

١٤- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، د. موريس بوكاى، ترجمة فوزى شعبان، ط.المكتبة العلمية (بدون بيانات).

١٥- الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن محمد بن يوسف العامرى ٣٨١هـ، تحقيق ودراسة د.أحمد عبد الحميد غراب، ط. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

١٦- الأعلام، خير الدين الزركلى، ط. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، سنة ٢٠٠٢م.

١٧- إفلاس الفكر الماركسى، د. محمد عبد الفضيل القوصى، ط.دار الطباعة المحمدية، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

١٨- الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٩- الله جل جلاله، سعيد حوى، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، (بدون تاريخ).

٢٠- الله، د. عباس محمود العقاد، ط. مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، سنة ١٩٧٢.

٢١- مع الله: دراسات فى الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالى، ط. دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة السادسة سنة ١٩٨٥م.

٢٢- الإنسان فى القرآن الكريم: المبدأ والمصير، د. صلاح عبد العليم، ط. الفجر الجديد، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.

٢٣- انتحار ملحد، سليمان الخراشى، مقال منشور بموقع: http://islamway.com .

٢٤- اهتمام الخطاب القرآنى بقوى الإدراك الإنسان وأثره فى الفكر الإسلامى، د. محمد صلاح عبده محمد، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين،

القاهرة، جامعة الأزهر، العدد الثانى عشر سنة ١٩٩٥م.

٢٥- بحوث فى الثقافة الإسلامية، د. أحمد محمد الطيب وآخرين، ط. دار الحكمة، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

٢٦- البهائيون فى مصر وخطورتهم على الأمن القومى، د. محمد صلاح عبده محمد، بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين، الزقازيق، جامعة الأزهر، العدد الثامن عشر سنة ٢٠٠٦م.

٢٧- من تاريخ الإلحاد فى الإسلام، د. عبد الرحمن بدوى، ط. دار الشعاع، القاهرة، الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٧م.

٢٨- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ط. دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، سنة ١٩٧٩م.

٢٩- التحليل النفسى لظاهرة الإلحاد، د. إبراهيم عبد الشافى، ط. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.

٣٠- التنوير يواجه الإظلام، د. جابرعصفور، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

٣١- الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء، د. عبد المنعم النمر، ط. دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٧م.

٣٢- جريدة الأهالى.

٣٣- جريدة الأهرام.

٣٤- جريدة الدستور.

٣٥- جريدة الشرق الأوسط.

٣٦- جريدة عقيدتى.

٣٧- جريدة الغد.

٣٨- حرب الأكاذيب، عامر العقاد، ط.دار الشعب، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.

٣٩- حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب، د. يحى هاشم حسن فرغل، ط.دار الصابونى، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.

٤٠- الخطر اليهودى: بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسى، ط. دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م.

٤١- داورن ونظرية التطور، شمس الدين أق بلوت، ترجمة أورخان محمد على، ط.دار الصحوة للنشر، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

٤٢- دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام، عبد المنصف محمود عبد الفتاح، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.

٤٣- ديانة مصر القديمة، أدولف إرمان، ترجمة د.عبد المنعم أبو بكر- د.محمد أنور شكرى، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

٤٤- الدين د.محمد عبد الله دراز، ط. مطبع السعادة، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.

٤٥- أبو ذر الغفارى والشيوعية، د. عبد الحليم محمود، ط. دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨١م.

٤٦- الرد على الدهريين، الإمام جمال الدين الأفغانى، ترجمة الإمام محمد عبده، ط.السلام العالمية للطبع والنشر القاهرة، سنة ١٩٨٣م.

٤٧- الشهادتان: التوحيد والنبوة، الشيخ محمد الغزالى، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٦١م.

٤٨- طه حسين فى قفص الإتهام، رجاء النقاش، مقال منشور بمجلة الهلال، القاهرة مايو ١٩٧٧م.

٤٩- فى ظلال القرآن، الشيخ سيد قطب، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٧م.

٥٠- العقيدة الإسلامية فى ضوء العلم الحديث، د.سعد الدين السيد صالح، ط. دار الصفا، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة١٩٩١م.

٥١- العلم فى منظور الجديد، روبرت أغروس وجورج ستانسيو، ترجمة كمال خلايلى، ط. عالم المعرفة الكويت، العدد ١٣٤ فبراير ١٩٨٩م.

٥٢- العلم يدعو إلى الإيمان، كريسى موريسون، ترجمة محمود صالح الفلكى، ط.مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، سنة ١٩٧٨م.

٥٣- العودة إلى الإيمان، هنرى لنك، ترجمة د. ثروت عكاشة. ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٩٦م.

٥٤- الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، د. محمد عمارة ط. روزا اليوسف، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.

٥٥- فجر الضمير، جيمس هنرى برستيد، ترجمة د. سليم حسن، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

٥٦- على الفكر الإسلامى أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم، أنور وجدى، ط. دار الاعتصام، القاهرة سنة ١٩٧٩م.

٥٧- فى الفكر الدينى الجاهلى، د.محمد إبراهيم الفيومى، ط. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٣م.

٥٨- بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة، د. محمود حمدى زقزوق، ط.دار الزينى للطبع والنشر، القاهرة، سنة ١٩٧٠م.

٥٩- الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد، ط. دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (بدون تاريخ).

٦٠- الفيلسوف الشامل: مسار حياة وبنية عمل، د. حسن حنفى، بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى للاحتفال بالدكتور عبد الرحمن بدوى، ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

٦١- قراءة فى كتاب حرية الاعتقاد، فى القرآن الكريم، د. عبد الرحمن حللى، قراءة الدكتور حسن أحمد الخطاف، بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت العدد ٦٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ، يونيو ٢٠٠٧م.

٦٢- قصة الإيمان بين الفلسفة، والعلم والقرآن، الشيخ نديم الجسر، ط.المكتب الإسلامى، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٩م.

٦٣- قضايا العصر فى ضوء الإسلام، أنور وجدى، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٧١م.

٦٤- لماذا أسلمت؟ نصف قرن من الحقيقة، محمد عثمان الخشت، ط. مكتبة القرآن، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

٦٥- لماذا أنا ملحد؟، إسماعيل أدهم، رسالة منشورة بموقع: .http/: www.ladeeni.net

٦٦- نحات عن منهجية الحوار والتحدى الإعجازى للإسلام فى هذا العصر، د. رشدى فكار، ط.مكتبة وهبة، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

٦٧- مائة سؤال فى الإسلام، الشيخ محمد الغزالى، ط.دار ثابت، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م.

٦٨- محاكمة المرتدين، أحمد السيوفى، (بدون بيانات).

٦٩- محمد فريد وجدى، رائد التوفيق بين العلم والدين، أنور الجندى، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، سنة ١٩٧٤م.

٧٠- فى المذاهب المعاصرة، د. أحمد عبده حمودة الجمل، ط. دار الطباعة المحمدية، القاهرة، سنة ١٩٩١م.

٧١- المسلمون بين المطرقة والسندان، د.سعد عبد العزيز مصلوح، ط. المختار الإسلامى، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.

٧٢- من مصادر التاريخ الإسلامى، د.إسماعيل أدهم، ط. مطبعة صلاح الدين الكبرى، الأسكندرية، سنة ١٩٣٦م.

٧٣- مصر عرفت التوحيد قبل إخناتون، د. محمد رجب البيومى، مقال منشور بمجلة الأزهر، القاهرة، الجزء ٦، السنة ٧٥ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ- أغسطس ٢٠٠٢م.

٧٤- المعبود الذى هوى: آراء فى الشيوعية، مجموعة من الكتاب، ط. دار الكتب الحديثة، القاهرة، (بدون تاريخ).

٧٥- المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية، ط. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.

٧٦- مفهوم الاحتمال فى فلسفة العلم المعاصرة، د.حسين على، ط. دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٩٤م.

٧٧- مفهوم الحركة بين الفلسفة الإسلامية والماركسية د.أحمد الطيب ط.دار الطباعة المحمدية، القاهرة المحمدية سنة ١٩٨٢م.

٧٨- المنقذ من الضلال، الإمام أبو حامد الغزالى، دراسة تحقيق د. عبد الحليم محمود، ط.دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ٢٠٠٣م.

٧٩- فى مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، د.يحي هاشم حسن فرغل، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.

٨٠- نحن والغرب، د. يوسف القرضاوى، ط. دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.

٨١- **نشأة الدين، على سامى النشار، ط. مكتبة الخانجى، القاهرة، سنة ١٩٤٨م.**

٨٢- **نهاية الإقدام فى علم الكلام، الإمام الشهرستانى، حرره وصححه ألفرد جيوم (بدون بيانات).**

٨٣- **نهاية الشيوعية، مجموعة من الكتاب، ترجمة وائل غالى، ط. الهيئة المصرية لعامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.**

٨٤- **هل الله موجود أم لا؟، شها الدمشقى، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات، موقع اللادينيين العرب.**

٨٥- **وجود الله تعالى بين الفطرة والدليل د. محمد عبد التواب السيد ط.دار الطباعة المحمدية، القاهرة سنة ١٩٩٩م.**

ملحق رقم (١)

صورة شخصية للملحد

توقيـع الملحـد

ملحق رقم (٢)

(صورة الغلاف على شبكة الانترنت)

كتب ممنوعة



لماذا أنا ملحد

تأليف: إسماعيل أحمد أدهم

الناشر: ملكية عامة

السعر ٠,٠٠ EGP :

حجم الكتاب الالكترونى KB ٤٣٩,٢١:

صيغة الملف Adobe eBook Reader :

المعلومات الكاملة:

كتبت هذه الرسالة بعد مطالعة الكاتب للرسالة التى كتبها الشاعر أحمد زكى أبو شادى بعنوان "عقيدة الألوهية"، فلم تكن إذن دراسة معدة لبحث موضوع الإلحاد والعقيدة الدينية، فلا نتوقع رسالة مليئة بالبراهين والدلائل لإثبات وجهة نظر صاحبها، بل هى مجرد خواطر كتبت على إثر مطالعته رسالة أبو شادى، أو بالأحرى هى مزيج من الذكريات والانطباعات وفى جزء منها تعرض فقط للبرهان "العملى" أو "الرياضى".

"إن الأسباب التى دعتنى للتخلى عن الإيمان بالله كثيرة منها ما هو علمى بحت ومنها ما هو فلسفى صرف ومنها ما هو بين بين ومنها ما يرجع لبيئتى وظروفى ومنها ما يرجع لأسباب سيكولوجية ، وليس من شأنى فى هذاالبحث أن أستفيض فى ذكر هذه الأسباب".

فلو شاء الكاتب أن يأتينا بدراسة وافية شاملة عن هذا الموضوع لفعل، وكان ينوى ذلك بالفعل كما قلنا سابقاً عندما كان ينوى تأليف كتاب عن عقيدته الدينية الفلسفية، لكن هذا لم يكن مقصد صاحب الرسالة.

ونستطيع أن نقسم الرسالة لجزأين، الجزء الأول منها يتكلم الكاتب عن بعض ذكرياته وأحداث حياته التى كان لها تأثير فى تكوين عقيدته، والجزء الثانى نرى فيه غلبة العقلية الرياضية العلمية على تفكيره ومحاولته البرهنة على دور المصادفة فى تكوين العالم وكما نلاحظ شجاعة إسماعيل أدهم فى إبداء رأيه، نلاحظ أيضاً السلوك الحضارى لمن ردوا عليه أمثال محمد فريد وجدي وأبو شادي فكانوا إعفاء اللسان، ولم يطالبوا بمصادرة ما كتبأو محاكمته كما نرى الآن حين يبدي أحد المفكرين رأيا مخالفا.

لماذا أنا ملحد؟

موقف بعض الكتاب والمثقفين من الموضوعات المتعلقة بالاسلام وطريقة معالجتها يطرح عديدا من التساؤلات حول الهدف الحقيقي مما يحدث مما هو مغزى الهجوم الإعلامي المكثف الذي يتعرض له الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية بشكل لا يتناسب مع حجم الموضوع المنسوب إليه والذي كان مجرد إجابة عن سؤال ضمن عشرات الأسئلة الموجودة في أحد كتبه.

وبغض النظر عن صحة أو خطأ هذه الإجابة فإن أحدا لم يكن ليشعر بها لولا طرحها من جانب البعض في الإعلام، وكأن كل قضايانا قد انتهت ولم يعد أمامنا مشكلة سوى تمحيص وتمحيص موضوع بول الرسول عليه الصلاة والسلام وهو موضوع كان يكفي مناقشته في الهيئات المتخصصة مثلما حدث في مجمع البحوث الاسلامية.

والأمر نفسه بالنسبة لموضوع رضاع الكبير الذي تحدث عنه صاحبه عدة مرات من قبل ولكنه تحول فجأة إلى قضية رأي عام ضمنا لاختيارنه صحيفة الحزب الوطني الحاكم ليكون "المانشيت" الرئيسي لها وكأنه إنجاز من إنجازات الحزب!

لقد تضمن التراث الاسلامي كثيرا من الفتاوى الغريبة وسجل أن غير عديد من العلماء كثيرا من الرأيهم تبعا لتغير اجتهاداتهم بتقدم السن أو النضج أو الزمان أو المكان دون أن يتم تحويلهم إلى مجالس تأديب أو إجبارهم على الاعتذار أو إطلاق محاكم التفتيش الإعلامية ضدهم.

في الوقت نفسه فهم بعض العلمانيين الجدد، عن جهل، العلمانية بشكل خاطئ وتصوروا أن الهجوم على أي رمز إسلامي يثبت علمانيتهم فتخصص بعضهم في الهجوم على الحجاب واستهداف المقربين أي داعية إسلامي ناجح حتى لو كان مشهودا له بالاعتدال وانتهز بعض الماركسيين الفرصة لمحاولة تشويه الإسلام والتخلص من آثاره سواء بطلب إلغاء المادة الثانية من الدستور الخاصة بالشريعة الإسلامية أو باستغلال بعض المطبوعات التي يسيطرون عليها لنشر الأعمال التي تسيء للذات الإلهية، وتسخر من فكرة الدين.

والغريب أن هؤلاء يحتفلون الآن بإعادة تصوير كتيب لديهم وتوزيعه على المريدين والاتباع باعتباره الدستور الذي سينقذ مصر وهو لا يزيد على ١٢ صفحة بعنوان «لماذا أنا ملحد» كتبها شخص مضطرب نفسيا يدعى إسماعيل أحمد أدهم عام ١٩٣٧ وانتحر بعدها بثلاث سنوات وأتمنى ألا يكون هذا مصيرهم

فتحى محمود

fathimahmoud@hotmail.com

ملحق رقم (٣)

(صورة لمقال بجريدة الأهرام يفيد إعادة توزيع رسالة الملحد بالقاهرة في سنة ٢٠٠٧م)

الثلاثاء ١٢ يونيو ٢٠٠٧

ملحق رقم (٤)

(صورة للصفحة الرئيسية لموقع الملحدون العرب)

الملحدون العرب